عبد المعطي المسيرى

فى القهوة والأدب

« واشهد انى قرأته مرتين ووجدت فى قراءته مرتين لذة قوية ومتاعا خصبا واحسست اعجابا عظيما بهذا الرجل الذى استطاع ان يثقف نفسه »

طه حسين

هذا رأى عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في فصل من فصول الكتاب

عبد المعطي المسيري

في القهوة والأدب

دراسات أدبية

بحوث اجتماعية

قصص مصرية

الثمن ٦ صاغ

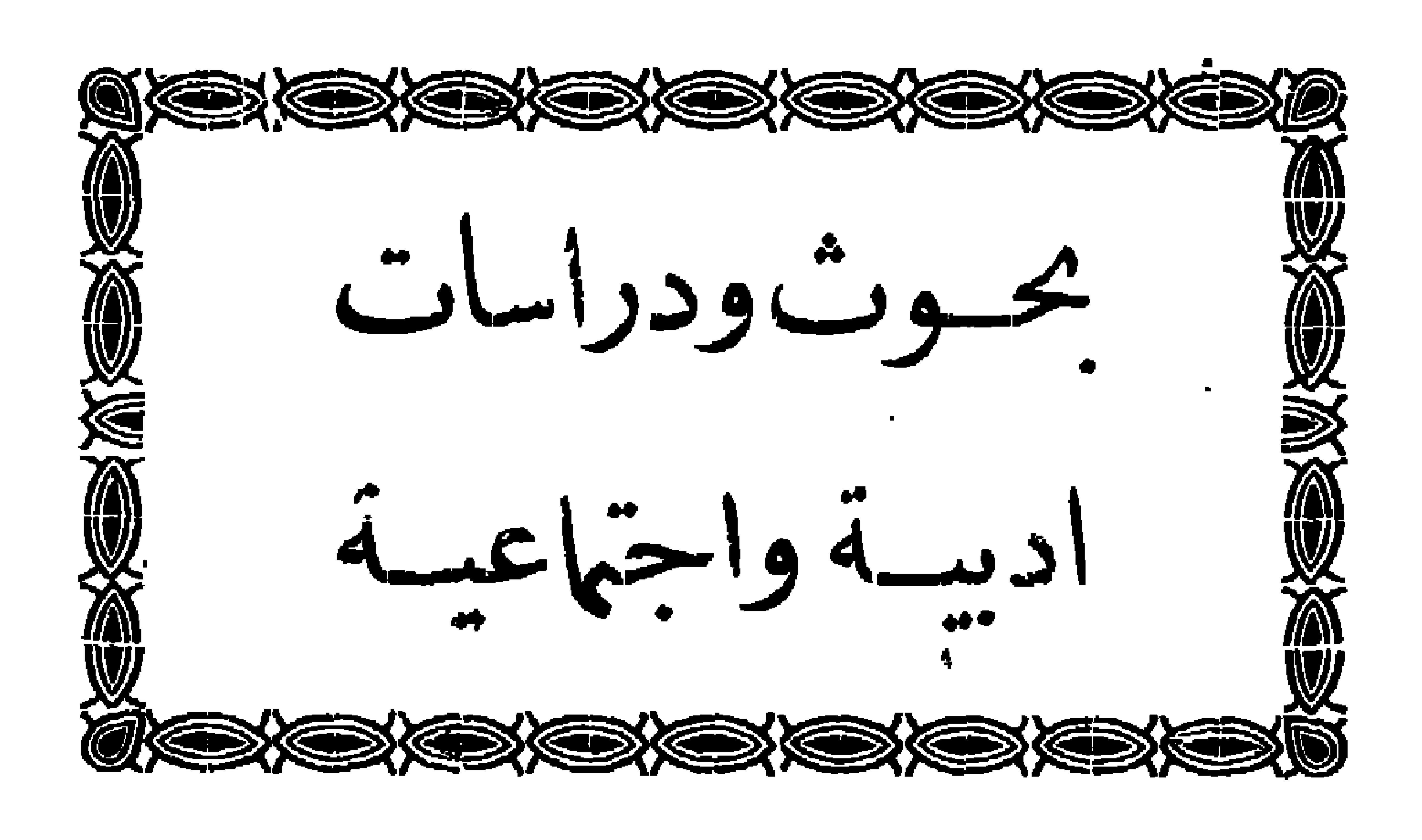
مطبعة الشعب فرع دمنهور

« واشهد أني قرأته مرتين ، ووجدت في »
« قراءته مرتين لذة قوية ومتاعا خصبا »

طه حسين

المؤلف




بحوث ودراسات
ادبية واجتماعية

كتاب

الى عميد الادب العربي الاستاذ الكبير

الدكتور طه حسين

في الثقافة ..

ياصاحب الايام

اتفق الناس. على الايشرحوا حالتهم الالمن بادلوهم الود وسبقت بينهم المعرفة ووحدت بين احوالهم انواع خاصة من الحياة ، ولكني اظن « الادب » قد شذ عن هذه القاعدة ، فأنت ترى اديبا يتخيل انه قضى ليلة مع « المتنبي » او ناجى في الخيال « جوتيه » او تحدث في المنام الى (هوجو) وقد ترى كاتبا يكتب عن (طاغور) وكأنه صديقه مع انه لم يحظ برؤيته وآخر يترجم (شللر) وغيره يهيم في الوهم مع (ملتون) يدفعهم الى ذلك حبهم العظيم لمن يتحدثون عنهم واعجابهم وتعلقهم القوي بادبهم ولما كنا على الاخص نعيش في عصر يقدس الديمقراطية و ينادي بها فهل تأذن لى ان أؤول تلك الديمقراطية حسب رغبتي فأرى فيها ان اخاطبك واشرح آلامي رغم الفرق بيني و بينك

انني فى الادب لا شيء أو قد اكون شيئا فاذا كنته فهو لا يزيد عن فتي يحب ان (يؤذن) لانه رأي أو تخيل ان في الاذان لذة و فى صعود المأذنة متعة ولكنه لم يكد يخطو الخطوة الاولي و يصعد أول درجة حتى راعته ظلمة الطريق و وعورته فهو لا يريد ان ينكص على عقبيه و يحاول الرجوع ولا يستطيع ان يصعد . فهل ترى لهذا الفتى أن يطلب من المتربع على حافة المئذنه ان ينيرله الطريق أو يبادله الحديث عن بعد حتى يبعد عن نفسه خوف الظلام

هذه هى حالتى وانا لم اتخط بعد الدرجة الاولى ولكنى اطمع في ان اسمع حديث الذى صعد فأذا لم اسمعه فلا اقل من ان اناديه واتخيل انه يجيب حتى اسرى عن نفسى الم الخوف من وحشة المكان

ياصاحب الايام .

اراك فى الايام الاخيرة تنعى الثقافة ولا ترتاح لاهلها ولا يكاد يسلم من نقدك احدا فأنت تنقد رسلها وتنقد الذين يتلقون رسالتهم وتلوم وتسرف فى اللوم حتى تقول للاديبه (مى) (صدقينى يا آنسه ليست ثقافتنا مرضية ولاقريبة من للرضية) وحبا في ان ابعث بالاطمئنان الى قلبك ساعرض عليك حالتي وقد تجد من امثالها الكثير وستحمد الثقافه وستحمد رسل الثقافه ،

. . . .

انني ياستاذى الجليل شاب لم اتعلم فى المدارس بل لم اتشرف

بدخولها . تعلمت الـكتابة والقراءة وانا فى الشوق اكابد العيش ،
استطعت ان اقرأ وا كـتب ، وكانت مهنتى تحتم على ان اظل جالسا
اربع عشرة ساعة ، كيف يمضى هذا الوقت ؟ اخذت أقرأ وابتدأت
بالادب القديم كـكل قارىء يقرأ للتسلية فالتهمت كتب الف ليله
وعنتره والزير سالم . هذا فى ساعات النهار وفى الليل الصحف والمجلات
وفجأه وجدت نفسى اقرأ القصص الجيدة لـكبار كتاب الغرب بدل
ادبنا القديم فى النهار و فى الليل اقرأ ما يترجم عن الفلسفة وفروعها مع
كـتب افذاذنا امثال شوقى وحافظ وطه والعقاد وهيكل والحـكيم
والمازنى وغيرهم

كان نهارى جولات فى الخيال خفيفـــا ترانى فى اليـونان
القديمه اعيش فى معاهدها مع سقراط وافلاطون وارسطو وحينا اهبط
انجلترا فاقابل بين هذه الفلسفة وفلسفة سبنسر وقـد يتطرق الملل
الى نفسى من الفلسفة فأرتاض فى حدائق شكسبير وملتون وما كولى
واحيانا يلذ لى ان اطوف فى المانيا فاقرأ جوتيه وشللر ثم اتوجه الى باريس
فأعيش مع لامارتين وهوجو وروسو وفولتير وموليير واحيانا تطالبنى
نفسى ان اعيش زمنا فى بلاد الروس لتحادث تشيكوف وتولستوى
وجوجول وقد يدفعنى التعصب الى المقابله بين هؤلاء والمتنبي والمعري
والبحترى والفرابى وابن رشد والـكاتب فأعيش كـثيرا فى الوهـاد
والصحراء واشاهد عصور الاسلام الزاهرة وتطالبنى القومية ان اناصر

كتابنا وهكذا لا ادع هذا الكتاب وعصره الا لأعيش فى الكتاب الثانى وقومه

واخيرا وجدت نفسى التى كانت تقرأ للتسلية والعبث اصبحت تقرأ للدراسة والبحث فاذا بى لا اقرأ مقالا أو بحثا او كتابا حتى اجد رغبة قوية فى الرد على المقال والمشاركة فى البحث والنقد للكتاب فاكتب وابعث الى الصحف. ولكن آه كم قاسيت ياسيدى ! لا اكتمك فأنا اكتب باغلاط نحويه كثيره لانى لم ادرس قواعد اللغة ، اجد ان الفكرة قوية ولكن اغلاطها النحويه تجعلها طعما لجرذان سلة المهملات

وعلى رغم انى اقرأ ولا اهدأ حتى اكتب فأنا اشتغل بمهنة كان يجب ان تكون كفيلة بان تقضى على رغبتى فى القراءة ولكن ذلك كان عبثا ومحالا انى اشتغل بادكتور « قهوجى » والقهوجى كما تعلم دائما فى ثوره . راديو فوق رأسه ، عشرات من الناس يطلبون الخدمة وعمالا و زملاء من اسفل الاخلاق ومع ذلك فالثورة هى الثورة

• • • •

فاذا كانت هذه حالة شاب يعتبر نفسه اقل الشباب علما حيث لم ينتظم فى دراسة ولم يجلس الى استاذ ومهنته والوسط الذي يعيش فيه يقضيان على كل شىء يتعلق بالادب فما بالك بمن يتعلمون فى المدارس

ولهم الوقت والمادة ؟ اليس من حقى ان اطالبك ان تفخر بالشباب وتثنى عليهم،اذا كنت انا اجهلهم وهذه هي قراءتى وهذه هى ثورتى الا يرجى الخير منهم ، اننى لا اقول هذا للدعاية عن شخصى يعينا ـ لا ـ ولكن لأطمئنك على حالتنا الثقافية والآن لنتحدث فى للموضوع الذى اود عرضه عليك

. . . .

سيدى : اراك تتخذ لنفسك فى النقد خطة هدامه لا سبيل للبناء معها فأنت تعمل معولك فى كل ما يصادفك دون رحمة. قدتقول ان النقد خير مقوم للكاتب وانا معك فى ذلك ولكن هاأنت ترى الدكتور (ناجى) يصرح انه دخل ضيفا على الادباء فلم يحسنوا وفادته ولذلك فهو لا يفكر ان يكون ضيفا مرة ثانيه وترى الاستاذ ابراهيم المصرى قد حرم القراء من مقالاته القيمه واختفى على اثر نقدك لقصته (نحو النور) الا ترى معى انك كنت قاسيا حينما شاهدت اثر النقد ولم تلق بالمعول وتمسك بادوات البناء ؟؟ ثم الا ترى ان النقد اذا افاد فى الغرب فهو مضر فى الشرق ؟ الا يكون فى تصريح ناجى واختفاء المصرى عاملا قويا لتخفيف حملة النقد ؟ لكننا لم نرى منك ذلك فها هو معولك لا تزال به اثار الانقاض ولا يزال يوجه ضرباته لمجلة الرسالة التى تخدم الثقافة باخلاص ولولا لطف الله لودعت الرسالة قراءها ، اتسلم معى بان النقد خير مرشد ولكنه عديم النفع بل هو الضرر

والخطر ؟!

. . . .

واحب ان ازيد فى اطمئنانك على شجاعتنا الثقافية ولذلك اقف منك موقف الناقد سانقدك لتعلم ان شباب الجيل يرجى منهم الخير وان اجهلهم يرى لنفسه ان ينتقد عميد الادب العربى

اعرض عليك ياسيدى شيئا صنعته وانت فى سن الشباب لترى ان الشباب الآن اقوى من شباب الجيـــل الماضى وارجو ان تمعن النظر فيه وتنقده معى ورجائى ألا تغضب فأنا الآن اتــكلم مــع طه حسين الاديب الناشيء وانقد قصيدة له نظمها فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٠٩ كما احب ان تسلم معى ان النقد العنيف لا يفيد ادباء الشرق والا فأرنى الناقد القاسي يوم قلت انت (القصيدة) ولتقارن ياسيدى بين ما سأعرضه عليك و بين ما ينظمه شبابنا الشعراء اليوم

تقول فى مطلع هذه القصيدة

عم مـساء فقــد اتاك البشير

لا يروعنك الظلام المغــير

. . . .

تولج الليل فى النهار ويأتى

من ذكاء الى الظلام نذير

ما هذا ؟؟ الا ترى ان للازهرية تأثيرها وانك لم تستطيع التعبير

شعرا عما تريد ؟ ثم تقول

عالم الغيب والشهاده لا يعـز

ب عنه قبل الصغير كبير

انى لا أتـكلم ولـكن اسألك كيف يكون حال الشاعر الناشىء الآن معك اذا قال

اهملوا الناس بحكم الله فيهم

فهو الغالب القوى القدير

اهل هـــذه النظرية تصلح لنظام البشرية اهل ترضى أنت الآن عنها

ثم مالك وأنت منغمس فى الازهرية والالفـــاظ الدينية تشيد بالغربيين فتقول

حسبكم في الآداب ماقاله فول

تير أو ما اتى به فــكتور

الا ترى معى انه كان يجب ان تقول حسبكم فى الآداب ما قاله المتنبي أو حسان حتي يكمل التجانس و يتفق التناسق

نعم ما قال ذا وما قال هذا

ونعما قال العـليم الخبـــير

الا تسلم معى انك من اجل اتزان الشعر و بحكم القافية قد وضعت فكتور وفولتير فى مرتبة العليم الخبير وهـــذا هو العجـــز الواضح

وأنت تقول هذا على لسان النيل ألا تري النيل أهلا للاحتقار ؟ لم لا يوصى بالادباء الذين شربوا منه وغنوا له وعاشوا بجواره

ثم تقول

منظر ثم مسمع تركانى في ذهول كأنني مخمور

احببت أن تصف لحظة سعادة ومتعه فلم تستطع التعبير الا بالفاظ بعيدة عن الشعر وعن النثر ولا ينطق بها الا من كان جاهلا كل الجهل بالاسلوب العربي الرصين

. . . .

انى لا أود الكلام فى هذا الشأن بعد هذا وأشعر أن القلم لايطاوعنى فى سرد هذه « الدرر » فلأدعك تتذكرها وتقرأها وكم كنت أحب ان أضع بجوار كل بيت مايماثله ويتفق معه فى المعنى من شعر الشبان الآن ولكن لن أجد القدرة على ذلك لمكانتك عندى ولكنى اصارحك انى لو كنت وجدت ايام نشأتك الادبية لكان لنا شأن آخر وانى أحمد الله لانى لم أعاصر الا الدكتور طه حسين زعيم الادباء

. . . .

وأنت تقول ياسيدى الاستاذ ان معظم الموظفين والمدرسين لايقرأون ولكنى اقول لك انهم يقرأون ودليلى نفسى فأنا أقرأ كل يوم خمس صحف ومجلتين هذا فى القهوة فى الثورة اما فى المنزل فمن

اللازم أن أمضي جزأ من الليل معك فى كتبك او مع العقاد أ و اى غربى فذ اوشاعر عربى مفلق وأحب أن أعرض عليك صورة كونتها نفسى لمن أقرأ لهم من كتاب مصر لتعلم صدقى ، أنا اعجب بك فى الوصف والنقد و بالعقاد فى الشعر والتوسع فى البحث والزيات اشعر أنه يعمل لاسلوبه (تواليت) قبل عرضه على القراء والرافعى يتصيد الكلمات من المعاجم « بماشه » وهيكل كأنه مدعى عمومى يتصيد الادلة لثبوت التهمة والمازنى كنت لا أعجب بشعره وحده والآن تروق لى قصصه وصوره اما فكرى اباظه وحسين شفيق والصاوى فهم للمائدتى الأدبية بمثابة التوابل

. . . .

وقد جلت جولات فى كتب السيرة

والفضل فى ذلك لكتابك « على هامش السيره » فهو الذي حبب الى أن أدرس السيره وقرأت الالياذة والقصص التمثيلي واشعار اليونان دفعنى الى ذلك ماقرأته لك فى « الشعر التمثيلى عند اليونان » « وقادة الفكر » ولا أكون براحة الا اذا صاحبت العقاد وهيكل في الصباح وفى المساء لا اهدأ حتي اصاحبك وقد اكتفى بك وصحيفتك بعض الليالي اما فى الغالب فوليمة العشاء غنية ممتعة حيث اجلس الى الزيات والرافعى وأباظة وغيرهم. الايبعث هذا بالاطمئنان الى قلبك . هذه حالة « الجاهل في القراءة ولذتها والدروس ومتابعها

والكتابة ومعالجتها مع أن هذا الجاهل لم ينتظم فى دراسة منظمة ولم يتح له من الوقت والمال الا القليل فكيف تكون حالة الموظفين والمدرسين لاتبعث على الاطمئنان

ياصاحب الايام

انت تقول (أن الاديب الذى يستحق هذا الاسم والرجل الذى يستمتع بشيء من الحيـاة لايستطيع أن يرضي ولا ان يطمئن لان الرضى آية الخمود ولان الاطمئنان آية القصور) على أساس هذا اريد ان أقول انى لست راضيـا عنك ولا مطمئنا الى عملك أين القصه ؟؟ لم لاتكثر من كتابتها وتحرض عليها هل لم يأتك نبأ المستشرق الذى صرح أن الأدب العربى لن تكون له مكانته بين الاداب الا اذا ادخلت فى مواده القصة . . اين دائرة المعارف لم لاتحرص على وضعها وتنادي بوجوبها انى أخاطبك على ضوء اننا ان لم نكن مثل القوم الذى كان ملوكهم يفتحون الباب للحقير قبل الأمير لبسط الشكوى فنحن نتمسح فيهم ولذا فلا بأس على وأنا في آخر الادباء والمتأدبين من مناقشة سيدهم وكبيرهم

وأحب أن تعلم ياسيدى انى لم اكتب هذا حبا فى النشر ولا رغبة فى ان يقال ان عبد المعطى المسيري يحادث العميد طه حسين لا . لكنها نفثة مصدور يرى ان صدره يضيق بها ويرى الراحة فى بثها ، اما مقامك عندى فى الادباء فهو الاول وقد اخليت نفسى من

مدحك لأنى مهما اسهبت واطنبت فى الكلام عن شعورى نحوك
ونحو ما اقرؤه لك فانى لا استطيع ان اعبر عن بعض لذتى وانا اقرأ
« الايام » وكأنى اعبر الأنهار وامشى فى المزارع واجلس الى الفقيه
والمس الحياة الريفية ولن استطيع ان اصور المتعة التى ظفرت بها فى
كتابك (فى الصيف) الذى علمتنى فيه (ان لابد مما ليس عنه بد)
وعلى العموم ان اردت وصف سرورى ولذتى ومتعتى حين اقرأ لك
شيئاً فهو يزيد عن فرح المؤمن الساذج حينما يركب الباخرة ليزور
الحجاز او عند ما يكون المريض فى دور النقاهة أثر المرض الشديد

قد اكون اسأت النقد او عجزت عن التعبير وقد اكون
حادثتك باسلوب لم تعهده وقد اكون تخطيت قواعد اللياقة . ولكن
الا يكون لجهلى . و بعدي عن التعليم النظامى وقسوة الحياة التى
تضطرنى لان اكتب هذا بعد جهاد فى سبيل العيش ست عشرة
ساعة شفيعا لديك فتغفر لى تطاولى ؟؟

قد تعمل على تهشيمى فأودع الادب وفى هذا راحة لى
وقد تأخذ بيدى وفى هذا نفع لى وقد تدعنى حيث انا فلا تنشر
ولا تجيب واذن فاكون قد نفثت عن صدري

واخيرا ارجو ان لا تحنق لأنى اختلست من وقتك الشيء الكثير
وارجو ان تتنازل وتتقبل كل احترامى وخالص تحيتى ومزيد اعجابى

دمنهور المخلص عبد المعطى المسيرى

رد الدكتور طه حسين

حديث الاربعـــاء

فى تنظيم الثقافة

كان ظريفاً ممتعاً هذا الفصل الذي نشرته الوادى مساء الاحد الماضى للكاتب الاديب « عبد المعطى المسيرى بدمنهور » يجادلنى فيه حول ما كتبته فى نقد الشعراء ، و فى ثقافة الادباء وقرائهم ، وأشهد أنى قرأت هذا الفصل مرتين، قرأته قبل أن آذن بنشره ثم قرأته الآن قبل أن آخذ فى كتابة هذا الفصل ، ووجدت فى قراءته مرتين لذة قوية ، ومتاعا خصباً ، وأحسست إعجابا عظيما بهذا الرجل الذى ثقف نفسه كما استطاع ، لم يختلف الي مدرسة ولم يجلس الى استاذ ، ولم يستمع من معلم ، وانما تعلم القراءة والكتابة فى السوق وأخذ يقرأ ما يذاع فى العامة من هذا الادب العامى اليسير ، ثم أخذ يرقى شيئا فشيئا حتي قرأ الكتاب المصريين المعاصرين ثم الادباء القدماء من العرب ثم ما نقل الي العربية من آثار الغربيين ، وهو الآن على كثرة عمله ، وثقل أعباء الحياة عليه واتصال جده في سبيل الحياة بضع عشرة ساعة لا يستطيع ان يستقبل النهار ، ولا ان يستقبل الليل

الا قارئاً كاتباً ، وناقداً مفكراً كل هذا خليق بالاعجاب ؛ وكل هذا خليق ان يزيل اليأس من نفوس الذين يشفقون على هذا الجيل ان يكون حظه من الرقى العقلى ضئيلا ، وكل هذا خليق ان يحملنى على أن أهنيء هذا الكاتب الاديب تهنئة صادقة بهذا الجهد الخصب المتصل ، وبهذا التوفيق العظيم الذى اتيح له وعلى ان اتمني أن أرى كثيرين بين أهل المدن والقرى وبين أهل القاهرة ينهجون نهجه و يسيرون سيرته وينتهون الى مثل ما انتهى اليه من الفوز وهو يذكر الديمقراطية فى مقاله و يعتذر عن التحدث الى و يجد شيئا من الحرج فى هذا التحدث . فأحب أن يعلم أنى لا أجد لذة في شيء من الاشياء كهذه اللذة التى وجدتها فى حديثه ، وفى الشعور بأن المصريين يستطيعون فى هذا العصر الحديث ، ان يثقفوا انفسهم ، وأن يبلغوا من الثقافة مثل هذا الحظ الذى بلغه ، . فقد كان هذا ممكنا مألوفا فى العصور القديمة ، حين لم تكن توجد المدارس المنظمة ؛ والبرامج المرسومة ، وحين لم تكن الدول تسيطر على شئون الثقافة والتعليم وتقيسهما بمقياس الشهادات والاجازات وحين لم تكن الحضارة الاجتماعية قد استطاعت ان تلغى ارادة الفرد ، وان تضيقها ، وأن تعود الافراد ان يعتمدوا على التعليم المنظم المهيء ، الذى يقدم اليوم فى المدارس كما يقدم الطعام الى الاطفال ، أما الآن فقد اصبح اعتماد الفرد على نفسه ضئيلا فى الدرس والتحصيل ضئيلا فى الحفظ والاستظهار

ضئيلا فى جميع فروع الحياة المادية كلها ، واصبح من النادر جـداً أن تجد رجلا يعتمد على ذاكرته وعنده القلم والدفتر ، أو يعتمد على نفسه فى التعلم وعنده المدارس ومن فيها من الاساتذة والمعلمين فـلا غرابة إذن فى أن نعجب بالـكاتب الاديب، وفى أن نتمنى ان يكون أمثاله كثيرين بين المصريين، ولا غرابة في ان نجد فى قراءته اللذة والمتاع ، وفى ان اهدى اليه اجمل الشكر ، واصدق التمنيات ، وأحمد له هذه الساعة الحـلوة التي اتاحها لى ، حين كـتب إلى هذا الكـتاب الظريف ، ولـكنى احب ان يفهم الـكاتب الاديب ان قراءته هذه المضطربة التى لم يعتمد فيها على نظام ، ولم يتقيد فيها بمنهاج، قد أغنته، وأتاحت له ثروة أدبية لا بأس بها ؛ ولـكنها قد أساءت اليه بعض الشيء فجعلته متفائلا اكثر مما ينبغي ، ودفعته الى أن يقدر الاشياء قـدراً ربما لم يكن مستقيما فى جميع الوجوه . هو قد قرأ ، وجد فى القراءة ، واستفاد منها ، فيخيل اليه أن الناس كلهم يقرأون كما قرأ ، ويستفيدون كما استفاد ، وهو إذن لا يصدق ، أو لا يكاد يصدق، أن المتعلمين والمعلمين ينفقون وقتهم في العبث والحديث وألوان الراحة ؛ لا يحفلون بالقراءة ولا يعنون بها ، لأنه هو لا يحفل إلا بالقراءة ولا يهتم إلا للقراءة ، واذا كان هو على جهله القديم قد فعل هذا كله ، وما زال يفعله ، فهـو لا يستطيع ان يؤمن بأن الذين تعلموا أو اتخذوا التعليم مهنة وصناعة يرضى أن يكون حظهم من الجد في الدرس ، والعناية بالقراءة اقل من حظه ،

و إذن فمادام هو يقرأ خمس صحف يومياً ، ومجلتين في كل يوم ، ومادام لا يصبح إلا مع كاتب أو شاعر ، ولا يمسى إلا مع عالم أو أديب ولا يجلس إلى مائدته إلا وحوله جماعة من اصحاب الفكاهة والنقد اليسير ؛ فغيره من المتعلمين خليق أن يقرأ عشر صحف ، وار بع مجلات ، وأن يصبح مع كتاب أو شعراء ، و يمسى مع علماء أو أدباء و يجمع حول مائدته أصنافا من النقاد واصحاب الفكاهة ، واكبر الظن أن الكاتب الاديب لم يفارق دمنهور ، ولم يزر القاهرة والاسكندرية ، أو لم يزرهما الالماما ، ولو أنه تردد عليهما ، واقام فيهما واختلفت بعض الشيء الى ما يقوم فيهما من الاندية والقهوات ، واتصل من قريب أو بعيد بمن يعيش فيهما من المتعلمين والمعلمين لأشفقت عليه أن يناله شيء غير قليل من الاعجاب بنفسه حين يقيس سيرته الى سيرة المتعلمين فى المدارس النظامية ، وحين يوازن بين ما حصل وماحصلوا ، وبين الوقت الذى ينفقه فى الجد والكد ، و بين الوقت الذى ينفقونه فى الراحة والعبث والحديث ، ولأشفقت عليه أن يبلغ اليأس الى قلبه البرىء ، ويصل الحزن الادبى الى نفسه التى يظهر انها لم تعرف الحزن بعد ، فليطمئن الكاتب اذن الى ماحدثته به من انصراف المستنيرين عندنا عن الثقافة ، واهمالهم للقراءة ، وزهدهم فى التحصيل ؛ فانى لم أحدثه الا بالحق ، وان كان الحق مراً ، مؤذيا ، وليست الشجاعة ان ننكر الحق لأنه مر ، أو نفر منه لأنه يؤذى ،

وانما الشجاعة أن نستقبل الحق كما هو ، وأن نصلح من أمرنا ما يحتاج الى الاصلاح ، فضعف الثقافة عندنا وضعف الميل اليها ، والرغبة فيها والجد فى تحصيلها ، امر واقع لا سبيل الى الشك فيه ، على ان الامر الذى احب أن يلتفت اليه الكاتب الاديب ، وغيره من المتفائلين هو ان من الخطر حقاً أن نرضى عن انفسنا الى هذا الحد ، وأن نطمئن الى ما بلغنا من الرقى ، وما زلت اقول له ولغيره من المتفائلين ما قلته للآنسة (مى) من ان الاديب الذى يستحق هذا الاسم ، والرجل الذى يستمتع بحظ من الحياة ، خليقان ان لا يرضيا ؛ ولا يطمئنا ، فان الرضى والاطمئنان وسيلة الكسل وسبيل الى الخمود ومظنة الى الغرور والعجب ، وويل لجيل تقوم حياته على الكسل والخمود، وعلى الغرور والعجب ، وما دمنا نبتغى المثل الاعلى دائما ؛ فالمثل الاعلى شرود لا يحب أن يبلغه الناس ، ولا ينتظرهم حتى يبلغوه ؛ وانما هو ينأى عنهم كلما دنو منه . ويفلت منهم كلما هموا أن يدركوه لأنه يريدهم على أن يمضوا دائما ، ويكره لهم الوقوف ولا يحب لهم الرضى والاطمئنان ، فهبنا بلغنا من الثقافة حظا حسنا ، وأخذنا منها بنصيب موفور فان فوق هذا الحظ الحسن ، حظا آخر أحسن منه ينبغى أن نسعى اليه ، وفوق هذا النصيب الموفور نصيباً آخر أكثر منه خصباً ومتاعا ، ويجب أن نجد فيه ، والمثقفون جميعاً فى أقطار الارض يستزيدون من الثقافة ولا يرضون بما يتاح لهم منها فلا ينبغى أن

نكسل والناس نشيطون ، ولا أن ننام والناس ايقاظ ،ولا أن نرضي عن انفسنا والناس على انفسهم ساخطون ، ثم أحب أن يلتفت المتفائلون جميعاً والذين يخيفهم التشاؤم فى أمر الثقافة الى أن الثقافة التى يخاف عليها من النقد و يشفق عليها أصحابها أن تفترسها لان كاتبا من الكتاب يراها ناقصة ، أو غير مرضية ليست هى الثقافة المرضية حقا وليست هى الثقافة القوية التى تثبت للنقد ، وتستطيع أن تلقى الاحداث ولا تفزع من الخطوب وانما هى ثقافة كنار الورق يطفئها ايسر النسيم ، وما ينبغى أن تكون ثقافتنا بهذه المنزلة من الضعف ولا أن تكون أشبه شيء بالضوء الضئيل ينبعث من السراج الصغير ولا يكاد يثبت لأيسر النسيم؛ وبعد هذا كله أريد أن يلتفت الكاتب وغيره من المتفائلين الى أن حياة الناس قد تغيرت منذ عهد بعيد وأصبح من الحقائق الواقعة ان التعليم والتثقيف من الامور الاجتماعية التى لا تترك كلها للافراد وجهودهم الخاصة وانما تقوم الجماعة بتنظيم مقدار منها تفرضه على الناس فرضا وتجعله شركة بينهم لانه يكون وحدتهم العقلية والخلقية فيكون بذلك نفسه وحدتهم الوطنية والسياسية ، وهذا المقدار المشترك من الثقافة هو الذى ينهض به التعليم الاولى والثانوى ، فلابد اذن من العناية بهذين النوعين من التعليم لانهما يصوران الحد الادنى للثقافة ، يصوران هذا المقدار الذى لا ينبغى أن يكون فيه تفاوت ولا اختلاف بين الناس ، وما دام القانون

لا يبيح للنـاس ان يدعوا ابنـاءهم دون أن يعطوهم حظهم من التعليم الاولي ومادام القانون لا يبيح للناس ان ينهضوا بهذ العمل ، وذاك من الاعمال العامة الا اذا استكملوا أدواته وهيأوا انفسهم له بما ينبغى من التعليم ، فلابد اذن من العناية بهذا التعليم كأحسن ما تكون العناية ، ومن جعله صالحا لتكوين الرجل الذى يستحق هذا الاسم ، ولتمكينه من أن يستقبل الحياة استقبال من يفهمها فيحسن فهمها و يثبت لما ستلقاه به من الاحداث والمشكلات ، فليس علينا بأس حين نلاحظ أن تعليمنا رديء أو أن ثقافتنا ناقصة مادمنا نستطيع أن نجعل هذا التعليم خيرا مما هو الآن ؛ وأن نجعل هذه الثقافة أوسع وأعمق ، وارقي مما هي الآن ومن المحقق الذى لا شك فيه أن فساد التعليم وضيق الثقافة والاكتفاء بظواهر الامور ، والعجز عن تعمقها كل هذه الخصال يدعو الى ان يكثر الغرور فى طبقات المتأدبين ، و يفشو الادعاء العريض والي أن يظهر من يرى نفسه أديبا وليس هو من الادب في شيء ومن يري نفسه شاعراً ، وليس هو من الشعر بسبيل ، ذلك لانه لا يجد من الناس الذين يعيشون حوله و يقرأون شعره أو نثره نقاداً مثقفين يحسنون التبصر بمحاسن الشعر وعيوبه ، و بجودة النثر ورداءته ، فلا يقبلون منهما الا ما ينبغى ان يقبل ، ولا يحسنون منهما ما هو مبتذل مرذول .

والكاتب الاديب يذكرنى كما ذكرنى غيره مرات بكلام

قلته أيام الصبا ونشرته لى الصحف . وكنت أراه ادبا ؛ وكنت عنه راضيا ، وكانت الصحف تراه أدبا . وكانت تنشره إما لأنها كانت ترضى عنه ، وإما لانها كانت تحتاج اليه لتملأ بعض انهارها الفارغة ، والكاتب الاديب ينقد هذا الكلام ؛ كما نقده غيره ، ويدعونى كما دعانى غيره الى أن أوازن بين هذا الكلام الذى كنت أرسله الى الصحف منذ ربع قرن و بين ما ينشره الشباب المتأدبون فى هذه الايام ، ويظن الكاتب الاديب كما يظن غيره أنى ان رجعت الى ما كنت أهذي به أيام الصبا عذرت الادباء من الشباب ؛ وقد يكون هذا حقاً ، لولا أن حياة المصريين قد تغيرت منذ ربع قرن ، وأن ما كان يقبل من الشباب ومن الشيوخ أيضاً فى أول هذا القرن لا ينبغى أن يقبل منهم الآن ، فاننا لم نقض من حياتنا خمساً وعشرين سنة نائمين ، وانما قضيناها أيقاظاً نعمل ، ونجد ونكدح ، ونبذل ما نملك ، لنصلح من امرنا ونرقى بحظنا من العلم والادب والحضارة ، ولا ينبغى أن تطلب منا الآن أن نرضى بما كنا نرضى به منذ خمسة وعشرين عاما ، والفرق بين الشباب الادباء الآن و بين الشباب الادباء فى أول القرن اننا كنا نكتب وننظم ولا نجد من النقاد من يحاسبنا حسابا دقيقاً على كل ما كنا نهذى به من النثر والنظم فكان منا من يملؤه الغرور فيرى نفسه كاتبا ؛ أو يرى نفسه شاعرا ، لان مقياس التفوق في ذلك الوقت كان رضا الصحف و إذاعتها لما يرسل

اليها ، ومنا من أتيح له حظ من ذوق ونصيب من فهم ، ومنح قدرة على نفسه ، وتسلط على طبيعته فاستطاع أن يتبين أن ما كان يهذى به لغو ، وأن ما كان يرضى عنه غرور ، فأعرض عما لم يكن يحسن الى ما كان يستطيع أن يحسنه وكذلك تستطيع أن تتتبع تاريخ جماعة من الاشخاص الظاهرين فى حياتنا الآن فسترى انهم كانوا فى أول هذا القرن يرون انفسهم كتابا أو شعراء يرسلون الى الصحف الفصول الطوال والقصائد التي لا تنتهى ، ثم بدا لهم فرأوا انهم كانوا يعنون بما لم يخلقوا له ، فانصرفوا الى ماهم ميسرون له .

على هذا النحو ياسيدى تستطيع أن تنظر الى هذا الشعر الذى تذكرنى به استغفر الله ، بل الى هذا النظم الذى تذكرنى به ، فليس هو من الشعر في شيء ، ولو أنى وجدت في تلك الايام ناقداً يردني عن هذا السخف لضقت به بعض الشيء ، ولكنى كنت خليقاً أن أحمد له شدته وحزمه ، لأنه نبهنى إلي ما كان يحسن أن أنبه اليه ، وصرفني عما كان ينبغى أن لا أمعن فيه ، ومع ذلك فأنت حين تذكرنى بهذا الكلام لا تسوءنى ، ولا تحفظني وانما تحسن الي وتصيب من نفسى موقعاً حسناً ، لانك تذكرنى بتلك الايام الحلوة التي كنا نجد فيها لذة النشاط والجد ، ولا نذوق فيها مرارة هذا النشاط والجد .

وأنا مؤمن بان ما ينتجه الشباب اليوم خير مما كنا ننتجه فى

أول القرن ، ولكني على ذلك مؤمن بأنه بعيد كل البعد عن أن يكون مرضياً ، و بأنه خليق أن ينقد فى حزم وصرامة وشدة ، وأن مقياس ما ينبغى للشباب من الاستعداد الحسن للانتاج القيم هو ثباتهم لهذا النقد وصبرهم عليه وانتفاعهم به ؛ فاذا رأيت شابا ينقد شعره ؛ فيدع الشعر ، و ينصرف عنه فاعلم انه ليس شاعراً ، وليس بينه و بين الشعر سبب لأن الشاعر حقا لا يخيفه النقد الى هذا الحد ؛ ولا يسرع اليه اليأس على هذا النحو ؛ وشيطان الشعر أشد سلطانا على نفسه واكثر امتلا كا لقلبه من أن يخيفه ناقد مهما يكن ، أو يرده عن الشعر نقد مهما يكن عنيفا ، ثقيلا ، ليس على الشعراء المجيدين بأس لا من ظلم النقاد ، ولا من انصافهم فهم شعراء وهم ماضون فى سبيل الشعر ، وهم منتهون الى حظهم من الاجادة مهما تكثر امامهم العقبات واؤكدلك انى لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر لأنى قدرت أن الدكتور ناجى أن كان شاعراً حقاً فسيعود الى الشعر راضياً أوكارها سواء ألححت عليه فى النقد أو رفقت به ، وأن لم يكن شاعراً فليس على الشعر بأس فى أن ينصرف عنه ، ويزهد فيه وأنا منتظر أن يعود الدكتور ناجى الى جنة الشعر ، فانى أرى فيه استعداداً لا بأس به ، وأظنه أن عني بشعره واستكمل أدوات الفن خليقاً أن يبلغ منه شيئاً حسناً . لا تجزع إذن ياسيدى من النقد ولا تظن أن عمل الناقد يجب أن يكون البناء دائما فقد يكون من

الخير أن تهدم بعض الابنية التى تحجب الضوء والهواء عن أبنية أخرى هى أحق بالبقاء ، ، وليس عمل البستانى غرساً للازهار والاشجار دائما وانما بعض عمله فيما أظن اقتلاع لبعض الاشجار ولبعض الاعشاب التى تفسد ما هو احق منها بالبقاء ، وأجدر منها بالنماء ، وأقدر منها على أن ينفع الناس .

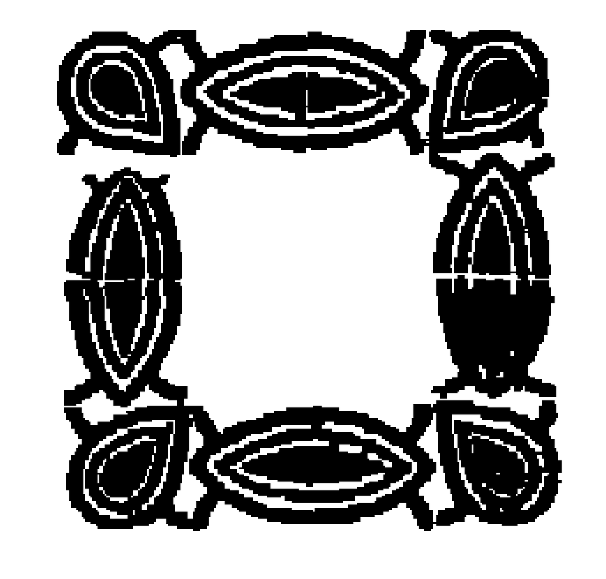
ولست أدرى لم يكــون البستانى مصلحاً حين يجتث الشجرة الفاسدة أو يقتلع الاعشاب المهلكة لما حولها و يكون الناقد مفسداً حين يرد عن الادب قوما يدخلون فى الادب ؟ وليسوا منـــه فى شيء ، ولست ادرى لم يكون البستانى مصلحا حين يشذب بعض الاشجار و يقص بعض الاغصان ، و ينزع بعض الورق ، و يكون الناقد مفسداً حين يهذب ما ينتجه الكتاب والشعراء .

كلا ياسيدى ، ليس على الادب بأس من النقد مهما يقسو و يشتد ، وانما البأس كل البأس على الادب من النقد اذا هان ولان واصبح تقريظا وثناء واثارة للغرور وتشجيعا للاخلاء والادب الذى لا يثبت للنقد العنيف لا يستحق أن يكون أدبا ، ولا يستحق أن يعني به أحد ، أرأيت انى أحسن منك ظنا بالادب والادباء وأجمل منك رأيا فى الثقافة والمثقفين أرى أدباءنا رجالا يستحقون النقد وتراهم أنت اطفالا لا يستحقون المداعبة .. هون عليك فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، ولقد عمد نقاد قساة غلاظ

مسرفون فى المنف الى بعض الشـــعراء والـكتاب فالحوا عليهم فى النقد واشبعوهم تجريحا ؛ وطعنا ولـكن الادباء مع ذلك ظفروا بالبقاء ، وذهب نقد النقاد هباء ، فمن كان من ادبائنا خليقا أن يبـقى وينتج وينفع الناس فليس عليه بأس منك ، ولا منى ؛ ولا من غيرنا ،ولعله أن يظفر من الحياة والخلود بما لا نظفر نحن منه بالقليل

اما بعد فانى اشكر لك ياسيدى ثناءك علي وحسن ظنك بى وأترك احكامك كلها علي كتابنا وأدبائنا ، لك لا اجادلك فيها ، ولا احاورك لان جدالك فيها ينتهى الى كثير جدا مما لا نريد

طه حسين



الادب العربي

الاستاذ سلامه موسى كاتب مجيد ينزع الى التجديد والابتكار وله آراء متطرفة في الدين والادب وهو فوق ذلك ينتصر دائما للقومية و ينادى بالدفاع عنها واشتهر ايضا بانه من الذين يبشرون بما يعتقدون دون أن يعبأوا بغضب الناس ، يدلنا على ذلك اسلوبه الصريح الذى تطهر من الغموض والابهام والمندفع الى الفكرة يصاول عنها و يحاول تحقيقها دون لبس ولا التواء. والاستاذ سلامة موسى كما نعرفه جميعنا مولع بالهجوم والاقتحام يود من صميم فؤاده أن ترتقي درجة التفكير بين مواطنيه وأن يكونوا احرارا في ابداء آرائهم كما يحب ايضا أن يأخذ قومه بأساليب التجديد وأن ينظروا الى الحياة بمنظار الجيل وأن يرفعوا عن اكتافهم عبء التقاليد والقيود وأن يطلقوا الخمود والجمود وهو لا يتحرج في بعض الاحيان عن التنكيل بشخصية فذة « كالمتنبي » في سبيل الدعاية للاغراض التي بسطناها

واذا ما اخرج الاستاذ سلامة موسى كتابا جديدا توقعنا قبل ان نقرأه اننا سنظفر برأي جديد ونظرية حديثة وفكرة مبتكرة وما أحوجنا في نهضتنا الحديثة الى كتاب مثله . وقد عالج نظرية النشوء والارتقاء ولكن مصر التي تحيا حياة فيها الكثير من جلال الروحية وعظيم الايمان ايأسته والحمد لله فأنزل الستار على هذه المعتقدات

وانغمر فى الجلال الروحى والايمان العظيم كما شاءت البيئة ، ولكنه كما قلنا وكما تقول حياته لايعرف الهدوء ولايطمئن للاستقرار واذن لابد من مناجزة ولابد من ابداء ثائرات أن لم تكن فى الدين فلتأخذ طريقها الى الادب وهذا ما وقع فعلا فى الايام الاخيرة إذ جعل كاتبنا هدفه الادب العربى محاولا تفضيل الادب الغربى عليه واخذ يشن الغارة بمناسبة و بلا مناسبة ، و إلا فما علاقة مقابلة الباسل باشا لويلز بالمتنبي وشاعريه المتنبي ؟

يقول الاستاذان اشعار المتنبي لو ترجمت للانجليزية لما اعجب ويلز ببيت واحد منها ! بينما آثار ويلز تترجم للعربية فيجد فيها القارىء لذة ومتاعا وتعبيرا عما يخالج نفسه ويجول بخاطره وأظن انه ساق هذا للتدليل علي عبقرية ويلز وقيمة افكاره ومتانة الانجليزية ورصانة تعبيرها فاذا كان هذا ما أراد فاكبر الظن انه اخطأ فى هذا القياس وكان يجب أن يعد ذلك من حسنات العربية فسهولتها واتساعها للترجمة وبلاغتها فى الاداء وروعة تشبيهاتها وطلاوة استعارتها التي لاتحاكيها فى شيء من ذلك لغة أخري انجليزية أو غير انجليزية ـ هى التى جعلتنا نعجب بما يقول ويلز واضرابه

والاستاذ يدعو صراحة الى نبذ الثقافة العربية فهل لنا أن نسأله كيف تقول هذا وأنت تتلمس آثار الفراعنة ؟؟ وكيف يتفق هذا مع ما تنادى به من الانتصار للقومية ؟ أليست اللغة أول عنوان القومية

ايكون حظ الشاعر المجيد المتنبي النبذ والدعوة لاهماله لانه عاش فى قرون بعيدة ؟؟ أظن اننا لا نزال نذكر أن القومية الانجليزية والاخلاص للفن هما سر تفضيل الانجليز لشكسبير على الهند اوعندى ان المتنبي لا يسأل عن أدبنا الحديث وركوده وخموله و بطء سيره في اللحاق بالاداب الحديثة ولكن يسأل عن ذلك ادباء هذا الزمان ومنهم الاستاذ سلامه موسى فالتاريخ يقول والاثار تنطق والانتاج يتحدث ان الاقدمين لم يخلدوا الى السكينة ولكنهم ناضلوا وجاهدوا وتكفى مقارنة بسيطة لآدابهم والآداب الاخري المعاصرة لهم للحكم على تفوقهم وكتبهم مازالت فى ايدينا شاهدة على ما قاموا به للادب واللغة من خدمات ولا نغالى اذا قلنا انه لو تأخر الزمان بالمتنبى لماقرأنا للاستاذ سلامة ان و يلز ومائة و يلز استطاعوا أن يبرزوا عليه ، أو لو تأخر الزمان باصحاب الرؤوس الملهمة والهمم العالية التى كانت تعيش «فى القرون الماضية» لما كان الغرب وحده صاحب كل هذه الاختراعات بل كان اكثرها يحمل الطابع العربى واظن سيدي أول من يعلم بالتغيرات العظيمة والابتكارات الرائعة التى ادخلها العرب الذين كانوا « يعيشون فى القرون الماضية » على كثير من الفنون والعلوم كالفلك والحساب والجغرافيا » كما انه لا ينسى ذعر الامة المتحضرة « جدا » فرنسا من الساعه التى اهداها الخليفه هارون للامبراطور شارلمان

انى اميل الى القول بأن الادب والفنون تتأثر بعظمة الامة فمثلا

الادب العربى كان فى أوج مجده عند ما كان للعرب السلطان الواسع وتضاءل حتى قرأنا انه فى المؤخـرة عندما تقلص السلطان واستكان السكان الذين ينطقون بلغة الضاد الى الظل الاجنبى . وأنا ارجو من الاستاذ أن يدانى على كتاب واحد للمعاصرين الذين يفكرون بفكر الثقافة الحديثة يشبه أو يوازى كتابا كالعقد الفريد مثلا !؟

أن اللغة العربية قد استطاعت بفضل جهادابطالها الاوائل فرض نفسها فرضا على كثير من البلدان وقويت على أن تنتشر وتغزوالبلاد الخاضعة لسلطان العرب وهذامالم تحلم به اللغة الانجليزية للآن و إذن فالعربية التى اتسعت لحضارة باهرة وانتشرت فى بلاد كثيرة كانت على استعداد لمسايرة المدنية الحديثة لو وجدت عناية كعناية اصحابها القدماء فاذا ما رأينا ان لغتنا قصرت ولم تتسع للفنون ولم تصلح هى وآدابها لهذا الجيل فلنلم أنفسنا واليك مثلا : أن ارض مصر تربتها خصبة يشهد بذلك كل انسان فاذا اتي يوم قالوا فيه بتفاهة زراعتها ونقص محصولها فالذنب ذنب الفلاح الجديد لا ذنب الارض القديمة

« * » « * »

والاستاذ سلامة موسي يحدثنا عن جهاد و يلز رغم مرضه وفاته أن فى حياة « المتنبي » من الرفعة والشجاعة والعصامية و كثرة الحوادث وتباين الاغراض بها ليس فى حياة و يلز وعشرات من امثاله . وتعال نستعرض حديث شعراء العربية عن الالم والحب والجمال والشفقة

والانسانية والطبيعة والدين ونقارن بينه و بين انتاج و يلز وقومه وانا زعيم بأن العربية ستخرج من هذه المقارنة مرفوعة الرأس ، وتعالى نتحدث عن رسالة الغفران وأثرها فى الادب العربى وخيال صاحبها « القديم » ثم نتخيل أن كاتبا غربيا «ويلزيا» أراد أن يتحدث عن اغراضها واتجاهاتها و يعرض اشخاصها هل يخرج لنا « قصة » أروع من قصة المعرى وتصويره وعرضه للاشخاص ؟!

وما لنا نذهب بعيدا وامامنا دانتي وجحيمه ، لنوازن بين خيال هذا وذاك ولنسقط من الحساب أن ابا العلاء كتب قصته قبل جحيم دانتي ثم لننظر هل انتصر دانتي عليه ؟

و بعد فهل يأذن الاستاذ الفاضل ان أقول ان عظمة المتنبي وخلود اسمه وعبقرية المعرى وفلسفته ان ينال منها نقد كل كتاب هذا الجيل ، وهل يأذن أن اقول ان كسلنا وخمودنا وعدم تمكننا من السير فى أثر الادب الحديث وشعورنا بضعفنا حيال الشخصيات القديمة وتفكيرنا بأن خلودها يطوى فى جناحه كل الاسماء كل ذلك هو السر فى حنقنا عليهم وفى حسدنا لهم ! ولكنهم كما قلت ستظل اسماؤهم مخلده وسنطوى جميعا و يبقى «المتنبي» شاعر العربية وحكيمها

والاستاذ يقول أن المدح هو كل شيء عند المتنبي وانا أقول لا ولكنه جزء من كل وشيء من أشياء وهذا الجزء كان له شأن فى الزمن الذى عاش فيه المتنبي اذ أن الملوك والامراء كانوا يرون ان

قصيدة مدح خير من فتح بلد وشأن المتنبي فى ذلك شأن الكثير
من عباقرة العرب فلو تلمسنا جوانب حياتهم الاخرى ودرسناهم درسا
وافيا لاتسعت أفاقهم لنا ولشهدنا لهم بالصبر والعمل والمثابرة على خلق
ملك عريض وحضارة عظيمة وآداب رفيعة وقد اضعنا تحت كل
ذلك بتقليدنا للغرب وانضوائنا فى مدنيته وفناء قومياتنا فى قوميته

بقى أن نتساءل اننا لانزال نذكر المتنبي رغم الف عام فليجازف
سيدى الاستاذ وليقل لنا أى كاتب حديث سيتحدث عنه الناس
بعد مائة عام وأى كتاب من كتب المعاصرين سيكتب له الخلود
بجانب كتب « القرون الماضية ؟ ثم ليذكر لنا كم من الفنون الرائعة
والبحوث المفيدة اوفيناها حقها من الاستقصاء حتى نضم الى فنونهم
وبحوثهم ؟ وكم وزنا للشعر زدناه على اوزانهم ؟ أن فى الادب العربى
ثروة ضخمة مازالت بكراً ما اصلحها للقصة التى ينادى بها الاستاذ
وننادى بها جميعا وأن « الميثولوجية » العربية القديمة تزخر
بفكرات كثيرة لفن القصة التى قال الاستاذ بفقر الادب اليها وخلو
العربية منها مع أنها تزخر بها مع تباين الآراء وعرض الشخصيات
ان فى كل معلقة بل في كل قصيدة تعبيرا وافيا عن آلام الانسانية
وحنينا الى الطبيعة وقصة عامرة بالحوادث والاشخاص والآراء . لاينكر
ذلك الا صاحب غرض او جاهل لايتذوق الادب اومن كان كالاستاذ المحترم
يحاول شحذ الهمم والعزائم واثارة النخوة ولو على حساب النابغين الامجاد

وسأعرض على القراء مقابلة بين قصة مصرية تتحدث بها العامة و بين اروع ما كتب و يلز . .

« قصة شعبية يؤلفها العوام تتفق فى المعنى والدعوة والاتجاه مع أروع قصص الفيلسوف و يلز »

ولا يعنينى هنا أن تكون قصتنا « الشعبية » واقعية أم كانت مجرد خيال كذلك لايعنيني أن يكون لها حظ من الانتشار بين الطبقات المفكرة كما يتحدث بها العوام دائما و يلقنونها لأبنائهم انما يهمنى أن أبرهن على أن لناقصة لم نعرف للاسف واضعها تساوى أروع القصص لويلز لندلل على أن الغرب يعرف قيمة الآراء ويقدر النبوغ وقد يكون للمناسبة بعض الاثر فى دفعى للكتابة فى هذا للموضوع فنحن فى شهر « الاسراء » والقصة تدور حوادثها نحو ذلك كما ان مؤلفهما يرمى الى الدعوة والدفاع عن صحة تصديق الاسراء وهذه الدراسة تبين لنا أثر القصة وقوتها وتقدير خطرها فى رؤوس القدماء حتى استعانوا بها على نشر الدعوة الدينية كذلك أحب أن أعلن أننى لا أتهم « ويلز » بالسطو على فكرة القصة الشعبية وأن يكن الاتفاق وتوارد الخواطر يعلن عن نفسه و يكفيني أن يكون لنا بل لقدمائنا ما لويلز من الخيال الرائع والفن الجميل والى القارىء تلخيص وجيز للقصتين المصرية الشعبية والغربية لويلز واترك الحكم له ، وللاستاذ الفاضل سلامه موسى عساه يؤمن معنا أن للادب القومي روعة وقصية ممتعة كالادب الغربى سواء بسواء

٣٢

صانع المعجزات

« قصة مصرية شعبية . مؤلفها مجهول »

زعموا أن ملكا أوحا كما لا أدرى بالضبط كان دائما يكذب بالاسراء ولا يعتقد به وحدث أن جلس ذات مرة الى ولي من أولياء الله ودار الحديث حول الاسراء والمعجزات فلم يكتم الملك تشككه في وقوع الاسراء بل تمادي في ذلك حتي أدعى انه لا اسراء بالروح ولا بالجسد وفى هذه اللحظة كان الخادم قد أتى بالقهوة للاثنين وأيضا الشطرنج . لم ينبس الولى ببنت شفه بل أخذ فى اللعب مع الملك حتى حمى الوطيس وقال (كش الملك) وهنا يغيب الملك عن وجوده و يتخيل أشياء تقع له منها انه ترك مدينته وأن الله قلبه امرأة تزوجها « سقا » وأن هذا السقا يسومها العذاب وأنها أنجبت اطفالا

« » « »

أخذت اطفالها ورحلت من وجه الزوج العنيد وبينما هى على حافة النهر تتولي غسيل ملابسهم إذ يغرق أحدهم فتصرخ وترمى تحاول أنقاذه ثم تشهق . وهنا يتنبه الملك فيجد الدخان لا يزال يتصاعد من القهوة وأن دور الشطرنج كما هو وهنا يقول الولى ألم تؤمن بعد بالاسراء فيقول آمنت آمنت

« هذا هو الملخص الوجيز للقصة الشعبية »

صانع المعجزات

« قصة قصيرة غربية مؤلفها المفكر الكبير ويلز »

صاحبنا « بطل القصة » لا يؤمن بالمعجزات اجتمع بصاحب له في الحان وتحدثا عن المعجزات وكلما أوغلا في الحديث امعن هو في الانكار قال : أتظن المصباح يقع لو امرته فوقع المصباح توا وفر من المكان وذهب الى منزله وأراد أن يعيد الكرة فأمر الشمعة أن ترتفع وتنقلب فكان له ما أراد ثم أمرها بالنزول فسقطت وأحرقت الغطاء أيقن أن الله حباه بقوة خفيه فأراد الوثوق فطلب عود ثقاب فوجده في يده وظمأ فطلب من ورقة أن تصير كأس ماء فكان له ما أراد . أراد أن ينام دون اجهاد فأمر ملابسه أن تنزع ثم أمر نفسه بالنوم العميق والاستيقاظ في ساعة محددة فتم له طلبه . ذهب الى عمله مضطربا وفي المساء قام ببعض الاعمال الخارقة بسهولة واتصل بقسيس وأراد هذا أن يستغل هذه القوي في الخير فكان يطوف به على الحانات فتستحيل الخمر ماء ويقل الاشرار . ذات ليلة أراد القسيس أن يجرب صاحبه فطلب منه أن يأمر الارض فأمرها فوقفت ولكنه أي صاحب الاعجاز وجد نفسة يطير في الفضاء بسرعة هائلة فاستجمع قواه بعناء كبير وطلب اليها أن تعود الى الدوران وأن يعود هو سالما الى الارض فعاد ولكنه وجد الزلازل والاعاصير في كل مكان

والمبانى تتطاير والماء يتدفق فجمع ارادته وقال ـ ياالله ياأيتها القوة العظيمة أعيدى الحال كما كانت وخذي مني قوتى الخارقه ـ فلم يتم صيحته حتى وجد نفسه فى الحان والكاس العاشرة فى يده يناقش صاحبه فى المعجزات . . .

(*) (*)

انتهينا من التلخيص ونعود الى حديثنا

قد يرى القارىء فى قصة ويلز دعوة يبثها واتجاها يتجه بالمجتمع نحوه ويجد أيضا ايمانا بأن صلاح العالم لايتم إلا بمعجزه ويرى الوانا عديدة من الآراء القيمة وصنوفا عدة من النظرات الصائبة كما انه يرى فى قصة ... الشعبية ما يري من الدعوة والاتجاه والالوان وأن يكن ويلز فى قصته أحسن أحبوكة وأمتن تماسكا ووحده فللزمن أثر فى ذلك فنحن فى القرن العشرين والعالم الآن يتجه نحو المدنية أكثر منه اتجاها نحو الدين فللمؤلف الاول غرضه ودعوته ولويلز رأيه وفكرته

وأخيراً ما رأى الاستاذ الفاضل سلامه موسى فى هذا التقارب العجيب والتوافق الملحوظ ـ ولا زلت متمسكا برأيى وهو أن ويلز لم يسط وليكن توارد خواطر أو كما تسميه وكفي أن يتفق فى الخاطر رأى مصرى قديم مع رأى غربى حديث وفى هذا شرف وأى شرف

طريق المجد

« كن شجاعاً وأجعل الذين حولك يشعرون بذلك تنل احترامهم » هكذا قال (غاريبالدى) وعلى هذا يسير موسوليني . وقف خطيباً فى ميلانو فقال : (إن إيطاليا ستواصل خطتها فى الدفاع عن النمسا واستقلالها ولو باللجوء الى الحرب اذا استدعت ذلك) وقال مخاطباً جنوده: إذا أمكن للعالم ان يحصل على سلام عادل فيمكن حينذاك تزيين البنادق بأغصان الزيتون ، اما اذا استحال الوصول الى هذه النتيجة فان البنادق يجب ان تزين بالحراب للوصول الى الانتصار) كان اناتول فرانس يقول (ان الانسانية تسير على قدمين الجوع والحب)

• ويلوح ان زعيم الفاشيست لم تعجبه هذه النظريةأولعله لم يقرأها وانما قرأ ان (البقاء للانسب) وان (القوة يجب ان تظهر لتأخذحقها) ذكرتنى خطبته الاخيرة بخطبة اخرى قال فيها لجنوده ما معناه (ولوا وجوهم شطرالشرق) ، (نريد أن نعيد مجد الامبراطوريةالرومانية) فمن من الامم الشرقية تناول القفاز [كمال] إذ اجاب ما معناه (ان فى الخطبة مساساً بتركيا وكرامتها) ، ولم يكتف بهذا ، بل أخذ فى تحصين بلاده أتدرون ماذا كانت النتيجة قالت ايطاليا (ان تركيا ليست فى حسابها) — فى ايطاليا يعبدون القوة وفى ألمانيا يمجدون القوة وفى تركيا يعظمون القوة وفى انكلترا وأن لم تتحدث الا انها تجعل الكلمة

فى اعمالها للقوة و فى مصر يعمل كثير من كتابها للضعف والاندحار — كاتب القصة يبتدىء قصته بل يبدأ حياة بطله الشاب بالحب ويختم حياته بالانتحار لم لايجعل من « القصة » حافزا للفوز بالحبيبة كأن يجعل البطل يقوم بخدمة لوطنه أو يخترع شيئا ينال به اعجاب اهلها أو يندمج فى الحياة الحرة فيفوز و يراه أهلها خيرا من الموظف و يبدأ الشاعر الاغنية « باللوعة » . ويختمها بضياع الامل . لم لا تكون الاغنية لمصر ، للنيل ، للاستقلال « للحبيب » ولكن يكون فيها روح الامل إن المجد الآن للقوة فان فاتنا السلاح فلنقو القلوب . اكتبوا لنا كيف استقلت الامم و كيف جاهد المخترع القوا لنا الاناشيد الحماسية التى لا يتنهد القلب وهو يسمعها وانما يتطلع للمجد و يترقب الفوز

الادباء عندنا يدعون الى الضعف والذل وأن لم يقصدوا ذلك أو من حيث لايشعرون يدعون اليه بقصصهم وأغانيهم يدعون الى ذلك لأنهم رأوا أن الجمهور يبتهج به

ولكن متى نزل الاديب الامين للجمهور صدقونى لو بعث احد من سكان القبور وقرأ ما تقرأون لتكهن لاول وهلة أن مصر فرغت من كل شىء الا « الحب » استقلت وسادت وشادت واتقنت الحب ايضا ولم يبق لها أن تدرس الا الحب المتخاذل الضعيف . . العلماء الا القليل النادر لن تتعدى خطبهم و وعظهم الحض على الصلاة والبعد عن الربا وايتاء ذى القربى وترك المنكر حقا . ولكن هل القرآن ليس

به سوى هذا وهل الاسلام ليست له تعاليم غير هـــذه ؟ ألم يقل بالتقوية والعمل والجهاد ـ اتقوا الله فى وطنكم المنكوب و بثوا فى صدور شبابه القوة والحمية والحماسة علموه كيف ساد اجداده وشادوا . علموه أن هذه الحياة المهينة المذلة لا ترضى الله ولا ترضى الوطن وليست طريق المجد والعظمه . علموه ان الضعيف لايحترم وان الحق للقوة حتى تقوى نفسه . علموه ان العالم يسير على قدمين «القوة والامل» اعملوا لتحرير الوطن عن طريق تحرير المرأة فى تحريرها تهيئة للنشء وتلقينهم القوة والامل. نريد امرأة تقول لطفلها دونك لا تخف شيئاً اقتحم العالم مت فى سبيل الغاية ، لا امرأة تقول له اذا بـــكى انى البعبع فينشأ جبانا رعديدا

وانت ياسيدتى المهذبة كونى اما لا كثر عدد ممكن من اطفال جيرانك بثى في صدورهم الامل والقوة والمعرفة

اننا محتاجون للقيـام بنهضتنا والسير بها الى طريق النجاح الى ادباء اقوياء وعلماء اقوياء ونساء مهذبات العالم ينظر اليكم فاظفروا منه بنظرة الاعجاب لا ضحكة السخرية

المعرفة هى القوة

الى الشباب

الشباب فى الامة عنوان نهضتها . ومحط آمالها. عليه ينعقد الرجاء وبه تتحقق الامانى والرغبات .

الشباب فى الامة بمثابة المعدة في الجسم إذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت . ونحن اذا أجلنا النظر فى أى نهضة قديمة كانت أو حديثة ، نجد أن للشباب النصيب الاوفى فيها . على سواعدهم بنيت الاهرامات التى هى فخر الفراعنة القدماء وبسيوفهم خطت روما صفحة مجدها العظيم

وفى عصرنا هذا نظرة قصيرة لايطاليا وما كانت عليه قبل « الفاشيست » أو المانيا قبل « النازى » أو تركيا قبل « كمال » ترينا الى أى حد يمكن للشباب أن يقيل أمته من كبوتها وأن يرد اليها عزها وسؤددها . هذا ولست مغاليا اذا رددت كل نهضة فى أي امة الى شبابها . ولست بحاجة الى الذهاب بعيدا فاحدثكم عن الاسكندر الشاب الذى دوخ العالم ولا عن نابليون الشاب الذي أخمد ثورة فرنسا وهو لم يزل فى ريعان الشباب . كلا لست بحاجة الى ذلك ففى ابطال العالم الحديث ما يجعلنى فى غنى عن القدماء . وأمامنا أمثال « النحاس » و «والنقراشى» و «ومكرم» و «وهتلر»

و « كال » و « موسوليني » ما يجب ان نتخذ من جهادهم مثلا اعلي في الحياة

كلنا نعلم « النحاس » وصلابته ودفاعه عن الحق واستبساله في الذود عن وطنه وغير ذلك من الخلال التي هي آيات الشباب والتي تجعلنا نفاخر بان زعيمنا هو « المثل الأعلي » للشباب في الوطنيــــة والفضيلة ـ تنصب له شباك الاحابيل والدسائس فينظر اليهــا ساخرا وتقف في سبيله القوات فيتبسم مستهزئا يناله من التنكيل أقساه ومن العذاب أروعه وهو هو لا يخيفه وعد ولا يرده وعيد يناوئه الاستعمار ويحاربه الضعفاء وهو في موقفه الذي يشرف الشرف و يعجب الاباء ولسنا نحن معشر انصاره نشهد بذلك كلا . فقد أعوز خصومه أن ينالوه باي شيء يخدش الـكرامة أو عمل له مساس بالوطنية فلم يروا من العيوب الا الصراحه والاستبسال والفضيلة

أما « مكرم » كبير المجاهدين و زعيم الشباب فله من حركته الدائمـة ونشاطه البادي أكـبر برهان على شبابه ونشاطه تراه يحط الرحال في « لندن » ليخدم وطنه في نفس الليلة التي ينزل فيها فــلا نلبث بعد أيام أن نرى نتيجة جهاده العظيم و بلائه المتين . مكرم فخر جيلنا الذي يضحي براحته وصحته في سبيل مصر ، مكرم الذي عرف زعيمنا الراحل نشاطه واخلاصه فلقب بابن سعد وعرف له الوطن ثباته ونضاله فلقب بالمجاهد الـكبير هو خير من نتبع خطاه ونسير على

نهجه ونقتبس من نشاطه .

والنقراشي تلك المغناطيسية العظيمة التي توزع من قوتها المخزونة التي لا تنفد ، حياة وبأسا ونوراً يسرى في أسلاك مواطنيه فيملؤهم أملا وقدرة على الثبات والكفاح في الازمات الحافلة والمحن الشادهة وكذلك ماهر وسائر زعمائنا الشبان

قرأت لأحد كتاب ايطاليا عن الشباب الفاشيستي وأثره مامعناه أنه يرد روح القوه فى موسوليني ليوليوس وغاريبالدي ، وانه يستحث قومه ليعيدوا مجد الرومان . وانا أرى اننا نستطيع أن نفاخر بأجدادنا ونستمد الالهام من مجدهم فان قال قائل منا يوليوس قلنا منا رمسيس وان قال منا غاريبالدى قلنا منا سعد ، وان قال زعيمنا موسوليني قلنا رئيسنا النحاس . لقد من الله علينا بان جعل بدء نهضتنا على ايدى شيخ له قلب شاب فالقلب الذى يصدر عنه امثال : الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة ليس بقلب هرم وانما هو لرجل كلة فتوة وكله حماسة واتم نعمته بان إختار لنا خليفته المصطفى الذى لم يرضخ لمشيئة غاصب ولم يرهب بطش صنيعة من صنائع المحتل .

ان مصر أمكم تهيب بكم أن تكونوا شبابا يعتز بكرامته فلا يخضع للقوة . ولاتثنيه الشدة . شبابا ينتصر للفضيلة فلاتهيجه الشهوة . شبابا يقدر نفع الحرية فيعمل لها ويموت دونها . شبابا لا يطلب من الغاصب أن يهبه الاستقلال بل يعمل له . شبابا لا يرجو الهبة وانما

يقتنص الغنيمة شبابا يرى أن حياته ليست رزقا وانما هى حقا . شبابا لا ينتظر المناسبات والسوانح بل يأخذ بالاسباب ويجد ويعمل . شبابا يقدر معنى الوطنية ويعرف الكرامة . ليكن كل منا جباراً لا يخضع كبرياؤه أنوفا لا تلين قناته تخيره الحياة بين حتفه وشرفه فيموت أبيا بين ظلمات السجون ونفع وطنه فيزج بنفسه فى هذه الظلمة التي هى للوطن النور الذي ليس بعده نور .

مصر أمكم تتضرع اليكم ألا تنظروا الى الخلف إلا لتتذكروا ضحايا كم أو لتستمدوا العون من مجد أجدادكم . تريد أن يكون شعاركم الى الامام . تريد أن تأخذوا عن العلماء « الصبر » ولكن فى الكفاح لا أن تصبروا على الضيم وأن تأخذوا من الشعراء « الغزل » ولكن فى الوطن وأن تتغنوا لا باللوعه وبالحسرة ولكن بنشيدكم القومي « قد رفعنا العلم »

مصر تشير اليكم أن المجد ينتظركم فطيروا اليه ولا يثنيكم عن طلبه غشوم ولا خائف

ان شباب العالم يعدوا ، فلا تكونوا فى المؤخرة ! انه ينظر الى نهضتكم فاعملوا علي أن تظفروا منه بتصفيق الاستحسان ، لا ابتسامة التهكم ، واعلموا ان للوطن عليكم حقا فلا تضيعوه ، وهو أن تحتفظوا بشبابكم وقوتكم وطهركم وان تقدموا ارواحكم قربانا علي مذبح التضحية اذادعا كم للتضحية

لو كنت امرأة !!

« نشرت جريدة كوكب الشرق الغراء فصلا »
« للانسة الاديبة امينه السعيد بعنوان (لو كنت »
« رجلا) تحدثت فيه عن واجبات الرجل وقد كتبت »
« هذا الفصل رداً على الآنسة المثقفة ونشرته بالكوكب »

لو كنت امرأة لآليت على نفسي أن الزم الحقوق التي اعطتنيها الطبيعة فلا اتداخل فيما لا يعنيني ولا فيما ليس من حقي. فمهنة الطيران مثلا هي حق من حقوق الرجل وله فقط أن يشتغل بها . وعلى المرأة ان كان لا بد من ان تتعلم فنا من الفنون ان تلزم دارها بعد ذلك لتنجب للبلد طيارين والرجل لا يغتفر ان تنافسه « امرأة » في عمله حتي ولو كانت زوجته و بخاصة لان البلد في أزمة ولا يكاد يجد عملا الا بشق الانفس .

لو كنت امرأة لنظرت الى مستوى المرأة المصرية وحاولت ان انهض بها لا من طريق الصحف بل لوزعت جهودي على الطريقة الآتيـــة :

ربعه للصحف وربعه لادارة شؤون المنزل ونصفه في المدافن

والجنازات ، حيث النساء الجاهلات أقف فيهن خطيبــة القى عليهن كيف يعنين بأبنائهن وكيف يعاملن أزواجهن حتى تصير المرأة المصرية فى حالة تمــكن زعيمات النهضة النسائية من أن يفاخر بها

لو كنت امرأة لصحت بالشعراء والادباء كفى عبارات الوجد والهيام وقصص الحب والغرام فالبلد محتلة وأحوالها مرتبكة . علمــوا النشء كيف يطرد الغاصب وكيف ينهض ببلده .. كفي ما نفثتموه في نفوس الشباب من التخنث . ولطلبت منهم أن يلقوا للشباب بقطع شعرية تبين لهم موقفهم وحالة بلادهم وتشرح لهم الطرق التي تؤدى بهم الى النجاح ولصحت أيضا بالكتاب : ان كفى ما فعلته قصصكم بنفوس الشباب فقد جعلت كل هم الشاب أن يحب..وأن يحب فقط ..

اكتبوا له قصصاً تعلمــه كيف نهضت الشعوب وكيف ينهض هو ببلده وتعلمه أن يحتقر الوظيفة وأن يجاهد فى سبيل العمل الحر كــزملائه فى البلاد الغربية ..

لو كنت امرأة لقلت للشباب اننا معشر النســاء لا نحبكم ولا نحفل بكم حتى تنظروا لحالة بلادكم وتنهضوا بها . حينئذ يحق لــكم ان تطلبوا حبنا فنمنحكن اياه ..؟

لو كنت امرأة لما حفلت بالازياء الاجنبية وللمودات الحــديثة والبلد فى تلك الازمة بل لطلبت « قماش المحلة » وعضدت المشروعات الوطنية ؟؟!! وما شجعت داراً من دور السينما الاجنبية ولا متجراً من

المتاجر الاوربية مادام فى البلد من يستطيع ان يمدنى بما اريده وان كان دون الذى تعرضه تلك الدور والمتاجر

لو كنت امرأة لدرست حالة المرأة الفرنسية حينما قصت شعرها و باعته لتشترى استقلال بلادها كي اتمكن من خدمة الوطن ..

لو كنت امرأة اطلبت من زوجى وأخى ان يمتنعا عن المراقص والصالات وان يحتفظا بصحتهما ومالهما ليبذلاهما فى سبيل وطنهما ..

لو كنت امرأة لاستطعت ان أنفث فى الصدور المريضة روح الحمية والحماس ولألهبت الشعور الميتة بأن اتحداهم وانافسهم فى خدمة الوطن ...

لو كنت امرأة لأضربت عن التجمل والزينة وتركت الرجل يتجمل حتى اذا رأى انني تركت له هذا وهوحق من حقوقى يتوارى خجلا ولا يعود لمزاحمتى في تزجيج الحواجب وترجيل الشعر والتجميل ...

لو كنت امرأة !!

لو كنت امرأة !!

الى الفتاة المصرية الحديثة

آنستى ...

فيم التأمل وقد علمت ألا حياة للوطن إلا باندفاعك ؟

ولم السكون والشعب النائم لا يحركه إلا صوتك

علام الانزواء وقد أبدى الشباب رغبتهم فى أن تشاركيهم العلم والعمل والوطنية ؟

أراقك موقف شعبك المؤلم ؟

أصدقت انك بمشاركتنا تفقدين انوثتك ؟

هيا يا آنستى الى العمل أيقظى النائم ـ اشحذى العزيمة. انفثى فى الصدور الشجاعة. صرحى بانك لست مرتاحة لهذا التخنث الذى اسرف فيه بعض الشباب قولى انه لن يستحق قلبك وحبك الا اذا كان رجلا صارحيه بأنه ليس كامثاله من شباب العالم . علميه كيف يحترم وطنه دعى التحدث عن المودة وأصناف التواليت واجعلى همك ترقية شعبك عليك واجب من أقدس الواجبات هو أن تكونى أما لا كثر عدد من الاطفال بل لكل من يقابلك منهم . ابعدى عنهم أشباح الخيالات

التى رسمتهافي خواطرهم أمهاتهم الجاهلات اجعليهم يشبوا كغيرهم فى الامم الراقية بدرى ما يثير حولهم الجهل من الخوف والتردد والفزع وأعديهم بحيث يصبحون أهلا لان يكونوا رجال المستقبل . ا كتبى للشباب انك غير راضية عنهم مادامت قد ألهتهم الحياة الوضيعة حياة الخمود والتقصير عن حياة المجد والعمل والحرية نبهى رجال الطرب لاناشيدهم التى يجهزون بها على حب الفضيلة والاقدام والبسالة من قلوب الشباب بثي فى رؤوس الكتاب أننا بحالتنا المؤلمة لسنا محتاجين لان نتعلم حياة المجون واللهو بل فى حاجة الى أن نتعلم حياة الحرية والاستقلال. قاطعى السينما حتي تعرض روايات تمثل عظمة من ينفع بلده وقيمة من يخدم وطنه. نطالبك ان تعملى هذا واثقين بانك لو عملتيه تجدين أذنا اصغت لك فى الماضى وعلى استعداد لان تسمع ما تقولين ـ نطالبك بان تقدمى على هذا لتثبتى ان فى مصر نساء

آنستى

هل أتاك حديث تلك الكاتبة التي تقول بأفضلية المرأة التركية واليابانية علي كل نساء الشرق هل هذا صحيح؟هبيها صادقة فلماذا لا تتقدمين ليعقد لك لواء الزعامة وأنت جديرة به.لقد بلوناك في ثورتنا الخالدة فعلمنا انك المحفز للتضحية والباعث على الاقدام والدافع للجرأة فهل انتهينا من أخذ حقنا حتى انتهيت انت للحياة اللاهية الرغدة ؟

جددي فينا الامل وقوى منا الهمم وهيبي بنا ان نتقدم وشاركينا فى هذا الاقدام . يميناً ما ارتفعت أمة إلا وكانت للمرأة اليد الطولى فى نهضتها ولا استقل بلد إلا وكانت امرأته فى صفوف المجاهدين . لماذا تتركي الدفاع والعمل لأخوات لك لا يتجاوزن اصابع اليدين ا هل نالت حقك ؟ هل اعترف لك بما تطلبين. اندمجى فى صفوفنا ليتضاعف عددنا ولنرهب العدو ونستحق اعجاب المنصف . امامك الفرصة سانحة فاقتنصيها دافعى عن وطنك وادعى الشباب للدفاع عنه يعرف لك الوطن حقك وتعترف الرجال بمطالبك . اجمعى حولك نساء حيك وعلميهن كيف تربى الاطفال التربية الوطنية وكيف يغرسن فى صدورهم الاقدام والشجاعة . قالت زعيمات نساء المانيا « ان المرأة العظيمة بين النساء هى التى تتمم بمنتهى التضحية أوضح الواجبات وأحقرها » فكونى عظيمة وتمى بقليل من التضحية أقدس الواجبات واكبرها

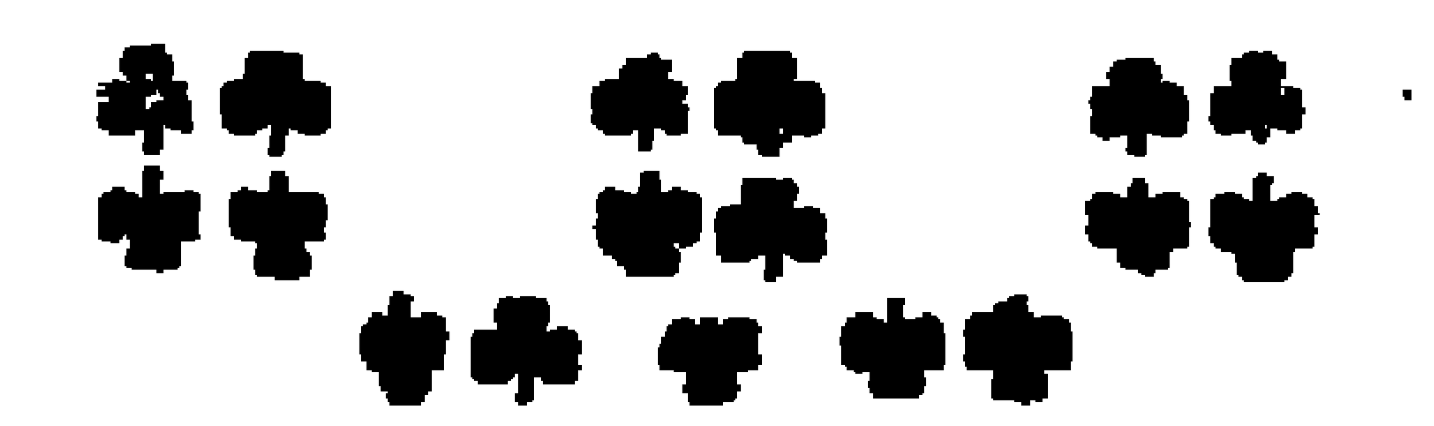
(*) (*)

الوقت من ذهب . وطنك منكوب وأنت منكوبة . فتولي بث روح الحمية والشجاعة فى نفوس الشباب . ولقنى الجاهلات ما يتحدثن به للاطفال . اعملى فسيتكلل عملك بالنجاح وتفوزين من المعركة بتقرير (تحرير المرأة)

آنستى

سامحينى إذا كنت قد خرجت عن المألوف وحادثتك بهذا الاسلوب فأنا اعتقد ان كل ما اصابنا من الكوارث والنكبات مصدره جهل المرأة و إعدادها للمنزل فقط وقد كان على ان أنحى باللائمة على طلاب الجمود والمحافظين على بقاء للرأة كما كانت ولكن ألا يكون شفيعى لديك اعتقادى ان فى مصر نساء وان المرأة في عام ٣٦ لن تقل عن امرأة عام ١٩

وطنك يناديك . فهل تلبين النداء ؟؟..



٤٩

ركب الخليفه !!

سارت قدماى . وألقيت على نفسى هذا السؤال : « على فين » فأجابت اعضاء جسدى بصوت كله قوة وكله حماسة « ع المولد » ثم كتب لى ان اعود الي المقهى فجلست متهالكا على المقعد وسألني صديق ما بك ؟ أين كنت ؟ فلم استطع ان اجيب وأشرت بأصبعى الى الناحية المقام بها « المولد » وهكذاذهبت اليه بنشاطى وسروري وعدت منه فاقد النشاط مكروب النفس

وفى الصباح كانت تتراقص امامي موا كب ذ كريات الامس الالمة التى لا تنتهى فكنت اودع هـذا لأستعرض ذاك والغريب انه لم يكن فى هذه اللحظة مشهد من المشاهد كلها يبعث الاطمئنـان الى النفس عوضاً عن الغبطة والسرور . فهذه الجموع العديدة قـد اجتمعت لا لشيء إلا لأحيـاء مولد سيدى عطيـة ابى الريش . أنا لا انكر هذه الموالد ولـكن انـكر القاعدة التى يسير عليها الناس في احيائها أنـكر الاغراض التي اجتمعت بسببها . و إلا هل من احياء مولد ولى من اولياء الله الصالحين أن يكون بجانب مسجـــده أوكار الدعارة وعشش الرقص وأماكن المنكرات وسرادق العاريات . يمكنك أن تحصي من بالجامع وستراهم اما من جماعة المتسولين أو العجزة أوالنساء

الجاهلات طلاب الحاجات التى سيقضيها لهم (الشيخ) فهذه امرأة لا تبيح للطبيب ان يري ابنها بينما هى تنذر (للشيخ) كذا وكذا وتقدم اليه من الشموع والنقود مما يكفى لمداواته عند الطبيب. وهذه اخرى تعمل ما يغضب زوجها فيهجرها فلا تعمد لتغيير طباعها أو تبذل جهداً لاسترضائه كلا وانما تنذر للشيخ . يمكنك إذن ان تحصى من بالجامع وان تعرف اغراضهم وميولهم ولكنك لن تستطيع بحال من الاحوال ان تحصى من فى « الساحة » حيث الفساد والدعارة . الشيخ كان تقياً كما يقولون فأين اتباعه ومريدوه ؟ يقيناً لو نفض الكفن واستطاع ان يتحدث لصرخ في الناس كفوا عن هذا الاجرام»

يمكننى ان اقول ان هذه الموالد شجعها المحتل فهى تقام فى مواعيدها دون تأخير لصرف الناس عن اقامة حفلات لزعماء وائمة تستحق الاحياء والخلود . و إلا لماذا تحارب بعض الحكومات المصرية اعيادنا القومية على حين تسمح باقامة امثال هذه المخازى وتحافظ عليها وتحتفل بها ايضاً بأن تشارك الناس فيها ؟ لماذا يكون لسيدى فلان اسبوع بأكمله تقام فى كل ليلة من لياليه حفلات ويجتمع فى ساحة مولده الألوف ثم يأتى يوم ذكرى الزعيم الخالد « سعد » فتعمل على محاربة ليلة ذكراه ولا تسمح للناس ان يحتفلوا بها و إلا كان نصيبهم الضرب والسجن ؟ متى نسمع ان كل مدينة تقام فيها امثال هذه الموالد قد ارتقت فى احتفالاتها فجعلتها للدين وللدين وحده ثم

نعمل على أن يكون بجانب ذلك مولد « لزعيم » يكون من هذه المدينة حتى تذكي فى الناس شعلة الوطنية ؟ متى نسمع ان لنا اعياداً قومية لا تكبت فيها النفوس ولا تستعمل فيها العصي والالكمات بل تكون فيها الحكومة بجانب الامة كما هو الحال فى هذه الموالد المخزية

ان لمحبي الموالد وأنصارها بل لجمهرة الشعب العذر كل العذر فى الاسراف بالابتهاج والاحتفال بها ، فالشعوب تحب أن تكون لها أيام تظهر فيها شعورها وتطلق فيها حريتها وتجتمع فيها جموعها فلنجعل هذه الايام أياما تشرفنا لتكن أياما يشعر فيها الشعب بما كان له من مجد فيعمل على اعادته لتكن أياما يستعرض فيها الشعب أعمال زعيم قضى دون أن يحقق ما كان يريد فيعمل على اتمام مابدأه . ليتيح له أن يجتمع ليحتفل بمواليد و وفيات أبطالنا فى الدين والحرب والسياسة فانه حينئذ لا يكون محتاجا الى اقامة هذه المخزيات والمآسى .

أنا لا أنكر ان لكل أمة من الامم عادات وتقاليد قد لا تلائم هذا العصر ولكن لكل أمة أيضا بجانب ذلك عادات حسنة فهذه تسيء وتلك تحسن فلماذا لا تكون لنا عادات اخرى بجانب عاداتنا المزرية السخيفة . قد يكون فى اقامة هذه الموالد فائدة لا أنكرها ، هى انها تعطى الحكومة والقاده صورة واضحة وفكرة قوية عن بؤس البؤساء وانحطاط الاخلاق وفساد التربية فهذه جموع المتسولين لا تظهر بشدة إلا في المــــوالد فهم يودعون هذا المولد ليستقبلوا غيره وهــذه

خيم الراقصات العاريات يأتين بحركات تشمئز منها نفس الانسان وهؤلاء أهل الريف بصفرة وجوههم وحالتهم الناطقة بما يعانونه هذه الايام من الازمة وهذه أمراضهم ناطقة بتقصير مصلحة الصحة تجاههم وهذه فئة اخرى فئة الحواة قد اجتمع حولها الصبية تنطق قذارتهم بأننا لا نحسن رعايتهم وهذه أخلاقهم تدل على ان المدارس الالزامية لم توفق الا لضم أقلية منهم . ندع هؤلاء لنتحدث قليلا عن المآكل التي تعرض على الجمهور : ذباب من انواع مختلفة و بكثرة عظيمة يداعب تلك المآكل وقذارة هائلة تحيط بالعربات التي تتولى عرض هذه البضاعة حتى ليخيل لمن يراها ان أوفق موضع للبيت المشهور

من لم يمت بالسيف .

. . . . .

هو أن يعلق على هذه العربات ثم صورة اخرى هي تلك الحوانيت الصغيرة المتنقلة التي تنتقل فى كل مولد لتطبع على الصدور والايدى والارجل طابع الجهل والغباء هذه الحوانيت التى تتولى وشم أعضاء الجسم بمادة تأبى ان تفارقها مدى الحياة وتشهد شهادة واضحة على أن صاحبها من طبقة منحطة هذه الحوانيت القذرة التى تغرى الاطفال والصبية فتضع على أعضائهم ا كليشيهات يقضون طوال حياتهم فى ألم بسببها ووخز موجع وعلى الاخص حينما يتفق للموشوم ان يجالس طبقات راقية ولاأعجب لشيء كعجبى من حكومتنا

لماذا لا تسن قانونا تحرم به هذه العادة إلا في ضرورة طبية. ثم صورة اخري هذه راقصة ترقص وقد اجتمع داخل خيمتها طبقات من أهل الريف و بعض سكان المدينة واجتمع خارجها كثيرون ينظرون من خلال الفجوات. منظر مؤلم والويل لصاحب قماش هذه الخيم فان بعض الجهلة يمزقونه من جهات متعددة ليتسنى لهم أن ينظروا للراقصة

. . . .

« ويركب الخليفة وينفض المولد » تاركا وراءه مئات من الاصحاء قد أضرت بعددهم الما كل القذرة ويركب الخليفة وينفض المولد تاركا مئات من الصغار طبعت على ايديهم وارجلهم الوشمات الشنيعة ويركب الخليفة وينفض المولد تاركا وراءه مئات من شباب الريف وقد تعطشوا لنداء البدن وتشوقوا للمنكرات بسبب ما رأته اعينهم ويركب الخليفة وينفض المولد تاركا عشرات اصيبوا بالامراض السرية التى زرعتها عليهم نساء هذه الموالد ويركب الخليفة وينفض المولد تاركا عشرات ممن فقدوا نقودهم وساعاتهم فى الزحام الشديد واخيرا ينفض المولد تاركا ابتسام الاجانب وسخريتهم بسبب ماشاهدوه فهذه فرقة حملة السيوف الحديدية يتمايل افرادها ذات اليمين وذات الشمال كأنها تحارب عدوا فى الهواء وتلك فرقة اخرى من حملة الدفوف والطبول يسير معها مئات من المخبولين يأتون بحركات كلها شعوذة ودجل ومنها جهل

وغباء. وغيرها يتعالى اصوات رجالها بكلام غير مفهوم يبعث الي
النفس السأم. وركب الخليفه وانفض المولد وعدت وكلى آلام جسميه
ونفسيه بسبب تدافـع الناس ومناظرهم مماهد جسمي من هذه
المآسى التى ذكرتها فمتى نسمع ان الحكومة قد حرمت اقامة الموالد الا
اذا ثبت لديها ان فى استطاعتها ان تجعلها للدين وبحيث تكون فى
حدود الادب اللائق بالدين

الزعامات الادبية الحديثة

تمهيد

قبل أن أمضي في هـــذه الدراسات أحب أن ألفت نظر الذين ينادون بتفاهة الأدب العربى الحديث ويرخصون من قيمـة تراجم ودراسة أدباء مصر الى أن رسالة الأدب ومقاييسه لا تعرف وطنا ، والاخلاص للثقافة لايعرف جنسا ، كما أن العزة القومية التى نحن فى حاجة قصوى اليها تحتم علينا دراسة نوابغنا والتلويح بعبقريتهم للعالم حتى يسلم الغرب بأن فينا من يمشى جنبا إلي جنب مع أفذاذه ..

نقرأ كثيرا فى الصحف والمجلات الفصول الطويله والصور العديدة والتراجم واللمحات عن أدباء الغرب وقلما نجد بجانب ذلك شيئا عن كتابنا . واذا طالبت كاتبا نفسه أن يستعرض حياة وأعمال أديب وطنى فلا يسلم من سخريات وعبث الذين يحبون أن نفنى أنفسنا في الأدب الغربى ورجاله ، بيد أنه من العبث أن نعثر على شيء من هذا فى صحيفة أجنبية عن كاتب مصرى .. فلماذا لاندرس بجانب برنارد شو .طه حسين ؟؟ ولماذا نقصر الحديث علي طاغور دون ان نذكر العقاد ؟ لاريب أن فوضى التقليد والجرى وراء المدنية

الغربية قد تأثر بها أدبنا كما تأثرت بها حياتنا الاجتماعيـة ولا شك أنهما من البواعث لهذا ... و إلا هل من حب الثقـافة والاخلاص للأدب أن نشيد بكاتب دون آخر ؟ وهل من الوطنية والانتصار للقومية أن نفاخر بعلماء الغرب ونشيد بذكرهم على حســـاب اهمال نوابغنا ؟ لماذا لانضع بجانب أعلامهم أعلامنا حتى نثبت أن فينا من يتسـاوى بهم وحتى نغرى النشء على قراءتهم ؟ قد يكون هذا من شعورنا بنقص فى الأدب العربى الحديث ! حسناً . واذا كان الادب الحديث فيه بعض النقص فلماذا لايكون سبيلنا للنهوض به تشحيذا لهمم وأزكاء العزائم وذلك بدراسة كتابنا مع الاشارة الى الضعف والنقص أظن أننا بذلك نرضى الحق والفن كما أننا نرضي الوطن والقومية . لذلك وطدت العزم على عرض أعمال كتابنا وشرعت فى كتابة دراسات عن بعضهم جعلت هدفى فيها ذكر أهم ما كـتبه الاديب وتحليل نواحى النقص والضعف في كـتبه وشخصيته وآرائه واعطاء القارىء صورة واضحة المعـاني كاملة الأجزاء عن الـكاتب وسأبدأ بالحديث عن الـكاتبين العظيمين طه حسين وعباس محمود العقاد . واذا قلنـا طه والعقاد فقـد قلنا الأدب العربى الحديث نثره وشعره فطه صاحب الاسلوب الرائع الذى يعتبر موردا خصبا لكثير من الادباء ؛ والعقاد صاحب التجديدات المبتكرة فى الشعر .قوتان متكافئتان اذا قلت أن للأول ذكرى أبى العـلاء المثل الرائع فى

الاستقصاء والحجة القوية في مناهج البحث والاستقراء والأثر البليغ في دقة الملاحظة وقوة الشعور وابراز الفكرة واضحة جلية . وجدت للثانى ابن الرومي الذي يشهد بطول الباع فى البحث العلمى وكثرة الاطلاع واتحاد المشاعر . واذا قلت أن الأول أغرى الشباب بكتابة القصة بهذا الأسلوب القصصى الرائع فى فصوله الممتعة وكتبه القيمة وأنه أحدث حدثا فى الأدب بكتابيه الايام والصيف وأنه يمشى بخطوات سريعة فى سبيل الحاق بالأدب الغربى والوصول بالأدب العربى الى درجات الكمال وجدت أن الثانى قد فتح فى الشعر فتحا مبينا ونهض به نهضة لاسبيل لانكارها فبعد أن كنا لانعرف للشعر إلا وجوهاً خاصة منها المدح والذم والشكوى والأنين والتهنئة والرثاء عرفنا له على لسان العقاد وحياً آخر لا كاعهدناه عند العرب بل ما نلتمسه عندالغرب واليونان ، من أنواع هذا الوحى ماتعثر به فى ديوانه من فلسفة عميقة ، وقصص ممتعة ، كما أن لكل منها جيشه الجرار الذى يعجب به و يتذوق أدبه ، وحسبي هذه الالمامه الوجيزة كما أنني سأقف بالقارىء لتتذوق ثمار (شوقى) أسكنه الله فسيح جناته وترشف رحيق القصص اللذيذة والصور الفكهة فى دراستى (للمازنى) وأملى أن يوفقني الله فاهتدى الى اعطاء القارى فكرة قوية وصورة واضحة عمن سأتحدث عنهم

. . . .

اكبر الظن ان القارىء يوافقني على ان الادب العربي كان قبل أقطاب (المدرسة الحديثة) أدبا جافا وكان على دسامته وغنائه خاليا من المتاع واللذة الا القليل النادر كرسالة الغفران وبعض الكتب وكان كل ما يتيه به هو ذلك السجع البغيض وأحسن مايفخر به هو ذلك الاسلوب الذى درج عليه القدماء فلم يتنحوا عن قاعدته وهذه المترادفات الثقيلة والتشبيهات الكثيرة المملة التى بلغ من حبهم لها ان استعبدتهم فلم يبيحوا لانفسهم التحرر من ربقة التقليد وفناء شخصيتهم فى أسلوب الذين سبقوهم ، تقرأ هذا الكتاب مثلا فيدور بخلدك انه هو الذى تركته من قبل وتأخذ في دراسة أخر فيتبادر . الى ذهنك وترجع بك الذاكرة الى كتاب قرأته من قبل وهذا لأن شخصية الكاتب الاول بل وفكرته واسلوبه هما محور الكتاب الثانى وعمدته . أضف الى ذلك أنك عبثا تحاول ان تجد كتابا فى تحليل الشخصيات او ديوانا يجمع بين اللذة الشعرية والاسلوب القصصى اللهم الا اذا استثنينا كتاباوشعراء يعدون على الاصابع وليس هذا راجعا الى فقر الادب العربي — حاشا أنه يمتاز بوفرة انتاجه ولكنه أيضا بحاجه قصوى لمن يحذق طهيه ويقدمه للقاري ءفيستطيع هضمه كما صرح بذلك الاستاذ (عباس محمود العقاد) وليس الذنب ذنب الادب القديم فنحن لو رددناه الى عصور رجاله وأحوال أممهم ودرسنا الحالة الاجتماعية والسياسية والدينية لوجدنا ان السابقين عبروا

احسن التعبير عن أرائهم وصوروا احسن التصوير بيئتهم ولكن اللوم على المقلدين الذين توهموا ان جريهم وراء الاساليب وتفننهم في المحاكاه مما يضمن لهم أحسن الاثر وأجمل الذكرى

ولعلنا لا نغالي اذا فاخرنا الامم العربية بان منا (سعداً) و (محمد عبده) والعقاد وطه وأحمد أمين والزيات والمازنى وغيرهم من الذين ناضلوا وجاهدوا حتى بعث الادب العربي وحتى جاهر كثيرا من المستشرقين بان الادب العربى الحديث لن ينقصه ليتبوأ مكانه بين الآداب الرفيعة الا « القصة »

وأظن انه لا سبيل لانكار الجهود الجبارة التى قام بها من ذكرناهم فهذا يترجم للعربية روائع الغرب وغيره يبدع فى كتابة القصة وثالث ينقل لنا أدب الاغريق وفلسفتهم ورابع يدرس الشاعر القديم و يقدمه للقارىء فى شكل مغر واسلوب جذاب وغيره... حتى نمت تلك الشجرة المباركة التي تعاون الكل على تعهدها ونعنى بها نهضتنا الادبية الحديثة وحتى اصبح لكل منهم مدرسته ومريدوه وتلاميذه وسنأخذ الآن فى دراسة شخصية فذة من هؤلاء الذين ذكرناهم تكاد تنفرد وحدها بانها جمعت بين الشعر والنثر وأصابت في النقد والتأريخ و وقفت قواها على خدمة الادب والثقافة

صاحب هذه العبقرية الفريدة وهذا النبوغ الممتاز هو الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ...

عباس محمود العقاد (١)

« من العبقريين من تعرف مداه بكتاب واحد أو قصيدة واحده ، ومنهم من يعطيك جزءا من عبقريته فى كل جزء من كتاباته « وجيتي » من هؤلاء العبقريين الذين لا ينبيء قليلهم عن كثيرهم تلك أحدى الصعوبات التى تعوق عن التعريف بهذا العبقرى .وهو يمشى بأثقل احماله وأخفها فى خطو وئيد وقوام قويم »

هذا هو شاعر الالمان عند العقاد ... وعندى ان خير تشبيه لمن نتحدث عنه هو ذلك التعريف فعبقرية العقاد تطل عليك وتلحظها فى كتبه ودراساته.والعقاد الناثر غير العقاد الشاعر وقد تفضل العقاد الناثر وأنت تقرأ فصلا من فصوله الممتعة حتى اذا أخذت في دراسة شعره حكمت بانه شاعر أحسن منه ناثراً وتقرأ العقاد السياسى فتتوهم انه موفق اكثر من العقاد الاديب . حتى اذا ما أخذت فى قراءة أدبه تجزم بانه أديب اكثر منه كاتبا سياسيا . أنت واجد عبقرية العقاد فى كل ما تقرأه ومن أقوى دلائل هذه العبقرية نسيانك ماضيه بحاضره

---

(١) احب ان اشير هنا الى ان هذه الدراسة قاصرة على ادب العقاد وسياسته قبل فصله من الوفد . أما رأيه الاخير وسياسته بعد فصله فليس هنا محل الحديث عن ذلك

فتعيش معه وتنسى الذى أخذته وهذا كما يقول مفكروا الغرب نهاية النبوغ فاذا قلنا ان كتبه وماحوته من الشعر والنثر والوطنيه في مقدمة الكتب القيمة أيمكننا بعد ذلك ان نستدل على عبقريته في كتاب واحـــد ؟؟ نعم .. ولا .. قد تحكم له فى هذا الكتاب أنه الناقد الحصيف، ولكنك تحكم له فى أخر انه المؤرخ البصير، وفى غيره انه الشاعر العظيم، وأذن فلا سبيل لمعرفة العقاد الا من دراسته دراسة وافية والالمام بنواحيه المختلفة « والعقاد » السياسى بوجه خاص غير العقاد الاديب وذلك بشهادته هـو حيث قال « انني في السياسة ديمقرطي ولكنني فى الادب ارستقراطى الى حدود الارستقراطية » . وأملي ان أوفق فى سرد تاريخ مجمل لحياة هذا النابغه والأبانه عن وطنيتـه كما أرجـو ان يسعدني الحظ فأوفق الى التعليق علي بعض قصائده وأرائه .

. . . .

قدمنا ان الادب العربى كان بحاجة ماسة الى طهاة مهرة يسهل عليهم طهيه كما هو بحاجة الى أدباء يحذقون اللغات الاوربية فينقلون اليه أدب الغرب وبخاصة تلك الآداب الحديثة كالقصة ،والتحليـــل، والبحث العلمى، ومناهج الاستقراء لانه يكاد يخلو خلوا تاما من هذه الفنون. ولعل السبب فى ذلك ركـود العرب السياسى مما أدى الى انحطاط الآداب .

وقادة الفكر أجمعوا على أن الامم الضعيفة المغلوبة على أمرها لا ينجوا أدبها من النكبة . نعم انه كان للعرب فى الجاهلية وفى أبان سطوة الاسلام آداب فاقت الآداب المعاصره التى كانت تعيش في زمانهم ولكن هذه النهضة المباركة وقفت عندما شاهدت سوس الاضمحلال ينخر عظام الامم العربية ولست مجاوزا الحق اذاقلت ان العرب لو لم يصيبهم ما أصابهم من التقهقر السياسي لكانت آدابهم في المقدمة كما كانت

كان من أثر هذا الضعف فى الادب ان أخذ الزعماء الذين ذكرناهم يجاهدون جهاد الجبابرة و ينقلون للعربية ما ينقصها و بعضهم يتخذ من حياته ونفسه مرآة يعرضها للامة فترى الامة نفسها مصورة فيها وتنظر عيوبها وضعفها . وأعرض شعراء منهم عن تلك الالتزامات التى كانت معقلا لا يجوز للشاعر مفارقته وظفرت العربية بهذا الشعر الفلسفي . والشعر القصصى، وغير ذلك مما حبب جمهرة القراء فى الادب فكان ان زاد عدد الكتاب ، وأصبح لكل منهم (اى الزعماء) مدرسته الخاصة التى تتأثر به وتنقل عنه مما جعل مصر تفوق الامم العربية وجعل تلك الامم تسلم القيادة الادبية لها . من هؤلاء من نتحدث عنه الآن

اسلوبه وشخصه . . .

ينفرد العقاد بين كتاب هذا الجيل باسلوبه الرصين الذى تحدثك

سطوره عن صاحبه ؛ وعندى ان الصحيفه التى يكتب فيها ليست بحاجة لكتابة اسمه مع المقال سواء كان فى الادب أو السياسة وذلك لان شخصيته الخاصة التى لم تتأثر بقديم أو حديث تنبه القارىء الى الكاتب ، والعقاد كما اشرنا يكتب فى السياسة بديمقراطية باللغة فيفهمه الشعب ولكنه فى الادب أحيانا يرتفع فى سماء الفن حتى يبتعد عن بعض القراء ، وأظن ان اكثر الذين يناوئون العقاد الاديب يرجع بغضهم له لانهم لم يستطيعوا ان يحذقوه وباقى الذين يودون النيل من مكانته لم يروا فيه عيبا فراحوا يرددون الاشاعات الباطلة عن كبره وصلفه ، والعقاد يعجب بقول ابو تمام « حين سئل لم لا تقول ما يفهم؟ فأجاب ولم لا يفهم ما أقول ؟ » وهو قريب الشبه بفولتير وبخاصة فى تهكمه وسخريته فى فصوله السياسية ونقده للبائسين ، وكتابته هذه هى قضية فنتيجة فحكم كما قيل عنها وتلك لعمرى أصوب الكتابة السياسية وقد اشار هو الى طريقته فى النقد فقال « وخطتي فى المناقشة ان اعمد الى أقوى الحجج بداءة فاجتهد فى تقويضها ثم أقفوها باضعف الحجج وقد اعود الى ما فيه مسالك من القوة وربما كانت فى هذه الخطه مفاجأه لا تخلو — كما شاهدت بالتجربة — من تأثيرها المحمود » وقد تكون هذه بعض خططه فى المناقشة السياسية اما العقاد الناقد الادبى فقد عهدناه يفرض استاذيته فرضا على المنقود ويملأ الدنيا شعاعا ونورا امام القارىء فيكمل ما غاب وما نقص عن الكاتب وما كان يجب

عليه وهذه طريقة حميدة في النقد ونافعه خصوصا مع أدباء الشباب .

وصف أحد المستشرقين « المازنى » بأنه فى النقد كالميزاب يتدفق فيغرق من ينقده اما العقاد فهو كالبستانى الذي يشذب الاشجار وينسق الحديقة .

قرأت في كتابه « ساعات بين الكتب » بعض هذا النقد الحكيم ، فى فصل من الكتاب نقد العقاد المغفور له « شاعر النيل » حافظ فى قصيدته « البركان » مثل حافظ المنكوب في شخص فتاة جميله والرجال يمدون ايديهم لانقاذها ومثله ايضا في شخص شيخ هرم والناس تتولى انقاذه ! أنظر للعقاد الناقد « الشاعر الانسانى » يعيب على حافظ هذا التمثيل ويريد منه أن يضع مكان الفتاة حيوانا تنقذه الناس ليبرهن على ان الانسانية جديرة باسمها وعلي ان عاطفة الشفقة والمحبة والمساعدة والايثار تغلبت على عاطفة جمال الفتاة او شيخوخة الهرم وأمثال هذا النقد كثيرة فى كتبه

وأظن ان من دلائل عبقرية العقاد وآيات نبوغه انه يكتب هذا النقد وهو يحرر فصوله اليومية الرائعة

. . . .

ان الناظر المحقق الى حالة الادبى تروعه نواحى الضعف وأنات البكاء الفاشية في كثير من الكتب، ينظر الشاعر الى حالة الامة الاليمة ولكنه يخاف البطش . شيطان شعره يرغمه على القول وعلى تصوير

البيئة — يأخذ فى البكاء والعويل معبرا عن آنات أمته ولكنه يتوارى فلا تظهر وطنيته وأنما يختفى وراء « المرأة » غير ان العقاد على النقيض من ذلك فى اشعاره الوطنية تقرأ شعره فيخيل اليك ان الشاعر يعيش فى أمة قوية تنعم بحريتها وتتمتع بسيادتها وذلك لانه يرى أمته كما يود ان تكون وهذا اسمى ما يمتد اليه نظر فنان — عبقري — يرى بعينه كل ما لمع بذهنه من الامانى السامية والامال الغالية

. . . .

قدمنا ان قاريء العقاد يخيل اليه انه يعيش فى أمة قوية ترفل فى حلل الحرية والاستقلال والسيادة فانت لا ترى فى كتابته أثرا للضعف يؤدى رسالته الادبية فينقل عن الادب الغربى روائعه فى الموسيقى والشعر والتصوير ويذكر أمته بماضى الاجداد ويعتز بنفسه اعتزازا قويا . وقد هاله أمر الذين يتسترون فى الحب ليبكوا فأخذ عليهم الطريق وأسقط حجتهم وسفه رأيهم معلنا انهم اذا كانوا يبكون لترضى المرأة فالمرأة لا تحب فى الرجل الا القوة والصلابة واذا كانوا يولولون لانها لا تحبهم فخير للرجل واشرف ان يبتعد عن التى تبغضه منطق سليم؛ وحجه بالغة

« كتابة التراجم »

يحتاج هذا الفن لمعرفة البحث العلمى والتعمق فى اساليبه والوقوف

على مناهج البحث والاستقراء النفسي ، والتحليل الشخصي، و يستلزم المراجعات والمقابلات وأظن انه لم ينبغ فى ذلك الفن ألا أفراد قلائل وأنا لم أقرأ من هذا النوع الا بضعة كتب اعجبتني ونفعتي وخرجت منها عالما كل العلم ومستقصيا لاحوال الذين كتبت عنهم أخص بالذكر من هذه الكتب ذكرى ابى العلاء للدكتور طه حسين وجان جاك رسو للدكتور هيكل وجيتى وأبن الرومي للعقاد وامل توفيق العقاد فى هذا الفن يرجع أولا لمشاعره الدقيقة التى تتفق ومشاعر من يصورهم وفوق اتحاد للشاعر فهناك مطالعاته الكثيرة واستيعابه لكتبهم والوقوف على أحوال عصورهم

« ابن الرومي »

يحتوى هذا الكتاب على ستة فصول ، الفصل الاول فى العصر الذى يعيش فيه والثانى فى أخباره، والثالث فى حياته ونشأته، والرابع فى عبقريته، والخامس فى فلسفته، والسادس فى صناعته، ثم مختارات من شعره وخاتمة وافيه .

وقد قال العقاد فى مقدمة هذا الكتاب الفريد ، « أحرى بها ان تسمى صورة خير من أن تكون قصة لان ترجمته لا تخرج لنا قصة نادرة بين الواقع والخيال ولكننا اذا نظرنا الى ديوانه وجدناه مرآة صادقة وتلك مزية يستحق من أجلها ان يكتب فيها كتاب ، »

وهذا الكتاب دراسه وافية عميقة لعصر من عصور العرب

الزاهرة ولا أبالغ ان قلت ان كثيرا من الناس كانوا يجهلون اشياء عديدة عن هذا الشاعر ولم يسبق لنا ان شهدنا أحدا يتصدى لدراسة ابن الرومى اذا استثنينا المقالات المتناثره التى دبجتها يراعه « المازنى »

« جيـــتى »

وهذا كتاب أخر لا عن شخصية عربية وأنما عن شاعرالالمان العظيم « جيتى » هذا الكتاب على صغر حجمه الذى لا يضيق جيبك الصغير بحمله لا يدعك تنتهى من قراءته الا وأنت ملم كل الالمام بشاعر الالمان ، وتكون قد أخذت صورة واضحة الاجزاء عن هذا الفيلسوف .

لخص العقاد فى هذا الكتاب كل ما كتبه جيتى من قصص رائعة وكتب قيمه ثم حلل لنا نفسية الشاعر تحليلا كاملا وحدثنا عنه حديثا طويلا،فاشار الى نظرته للحياة وأرائه الفلسفية وشتى العلوم التي حذقها والمؤثرات التي أملت عليه قصصه ولم يفتـه ان يحدثنا عن النهضة الادبية فى المانيا وتطورها ،وختم هـذا الكتاب باشاره الى التقدير الذى كان من نصيب جيتى ؛ ومما يدل على أن العقاد فنان لا تغريه الزخرفة الباطلة وانه ينظر الى بواطن الامور والى الاشياء التى تستحق التقدير ويزنها بميزان الفن الخالص انه لم يعجبه مدح نابليون لجيتي حين قال لرجاله « ها كم رجلا » وفضل على هذا المدح كلمة الناقد « هيني » ومما قاله في هذا الصدد ، ان كلمة من هينى

لترجح بكل ما يقوله نابليون وكل ما تقوله الحفلات

ترفع العقاد

هل العقاد متكبر ؟ كلا .. اللهم لا اذا عددنا الترفع عن النقائص؛ وصيانة الكرامة، والبعد عن التذبذب، والدفاع عن الحق كبرا الواقع انه ليس من الغطرسة في كثير ولا قليل وأنما هو ينظر الى كثير من الادباء والكتاب فيجدهم يتأثرون ببعض الاساليب ويتمسكون بما ليس من الادب في شيء ويسطون على النابغين ويرى اكثرهم يحبون الظهور، ويولعون بالطنطنة الكاذبة، ثم يجد نفسه معصوما من هذه الادواء. ويقلب نظره في اكثر كتاب السياسة فيرى هذا يمدح من لا يستحق المدح، والثاني مراء دنيء، والثالث يعرف الحق ويناضله محاولا نصرة الباطل من أجل مصلحته المادية . يرى هذا الكاتب يتقلب في الاحزاب والصحف والمبادىء، يرتدى كل يوم ثوبا جديدا معرضا قلمه في السوق لمن يدفع الثمن ويرى صنوفا أخرى يرعبها العقاب فلا تؤدي رسالتها على الوجه الاكمل وأنما تحاور وتمارى وتعتدل في اسلوبها حتى لا ينالها العذاب أو المسئولية . يجد كل هذا وغيره وينظر الى نفسه فيجدها بعيدة كل البعد عن هذه العيوب ويرى قلمه شريفا لم يدنسه رجس فهو لم يمدح امرأ لجاه أو سلطان ولم يذم مذموما الالأنه يستحق الذم

« العقـاد الشاعر »

نقسم شعر العقاد الى قسمين. الاول شعره العالمى الذى هو فيه الفنان الذي لا يعرف وطنا، فالعالم كله وطنه، والانسانية جمعاء أمته ورسالة الفن الصحيح تلح عليه ان يؤديها

فى هذا القسم يروقك التجديد، والتبويب، والابتكار، فهذه قصيدة جمعت بين الحبكة القصصية والشعر الفلسفى؛ وغيرها يحدثك فيها عن أبطال العالم القديم، وثالثه عن الشجاعة والحلم، والكرم والدناءة، والبغض والجبن، وغير ذلك. وهنا أحب ان اذكر رأى الدكتور طه حسين وهو أنه لم يعجبه بعد المعرى والمتنبي، الا شعر العقاد وقد قطع الدكتور فى حفلة تكريم شاعرنا بان شاعرية العقاد أحسن شاعرية شاهدها بين شعراء الجيل، وأيضا كلمة الاستاذ « للمازنى » فى مقدمة ديوان العقاد فهو يقررانه ـ لو لم يقرأ العقاد لبدا له تعبير الحياة ناقصا من بعض وجـــوهه

أما القسم الثانى الخاص بالوطنية والقومية فانا أصرح أننى لم أقرأ شعر يصور أمال الوطن و يعبر عنها أحسن من شعر العقاد وكفاه فخرا انه وفق لوضع النشيد القومى الذى أصبح شعار المصريين جميعا، وتوفيق العقاد في الشعر الوطنى يرجع أولا لمصريته الصميمة الخالصة ووطنيته الصادقة الملتهبة و روحه السامية

الحديث عن القسم الاول :ــ

اذا أردنا ان نتحدث عن تأثر الشعراء بالعقاد فامامنا مئات الكتب الحديثة التي تثبت قولنا والتى تبرهن على ان الشعر العقادى بفلسفته وتصويره وآدابه هو المورد الخصب لجمع عظيم من الشعراء

وسنتحدث الآن عن قيمة الشعر العقادى وعن الابتكارات والتجديدات فيه وعن نصيبه فى الأثر المحمود الذى خلقه للادب العربى، واليك قصيدة قد جمعت بين الاسلوب القصصي والفلسفة العميقة وهى « المعرى وأبنه » كلنا يعلم ان ابا العلاء مات ولم ينجب ابناء وهو القائل :—

واذا اردتم بالبنين كرامة فالحزم أجمع تركهم فى الاظهر

« المعرى وأبنه »

الابن: يا أبى طال فى الزمان قعودي فمتى أنت مخرجى للوجود

أرنى يا أبى الجهر والخفاء اى شىء ذاك المسمى شقاء ؟

اى سر يراد بالمولود

ما الوجوه الحسان ؟ ما النوار ؟ ما الدرارى ؟ ما الفلا ؟ ما البحار

ان دأب الوليد حب الجديد

الاب؟ ولدي ! أنني ابوك الرحيم انا بالعيش يا بنى عليم

لا تصدق مقالة من بعيد

ما حياة تشقى وتسعد فيها تتمنى ولكن بما يعنيها

فى عظيم تبلى به او زهيد

يحسب الحر جهده لهــواه   جهل الحر جهده لسواه

أ إنما المرء آلة للجـدود

قف بباب الحياة لا تدخلنهـا   واعتصم يابني ما اسطعت منها

سوف القاك فانتظر بالوصيد

الا تسلم معى بان هذا التجديد والابتـــكار من أمتع وأنفع الابتكارات للادب العربى الحديث

درس العقاد ميول للمعرى وحذق آراءه وأخذ يصوغ ذلك شعرا كانت الآداب العربية فقيرة اليه

وعندى ان أبا العلاء لو أحب ان يسطر ميوله شعراء ماقاق العقاد في هذا الوصف

. . . .

« ان من اراد ان يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد ان يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود »

هذا هو رأى العقاد فى الذين يقولون بحصر الشعر وتحديده وهذا سر تمرده على العبودية والاوضاع، وثورته على الالتزامات ولكنه فى ذلك التمرد كان على بصيرة وهدى لا كمن يثورون على القديم وهم ابعد الناس عن التجديد، واضعفهــم فى الابتكار، والقدرة على معالجة التجديد؛ تحدى العقاد الرجعية ونظم قصيدته : « الغزل الفلسفي » فى كتابه « وحى الاربعين » واليك قصيدة من هذا الكتاب تستحق

ان تــكون وحدها فنا من الغزل قائم بذاته وفلسفته .
أبدع العقاد فى تصويرها ما شاء الابداع؛ وصاغها فى ثوب قصصي تتيه به المكتبة العربية قال: —

تبارت شفاه حبياتها الا له بشتى المرايا وشتى النحل
لاى الشفاة تجيب السماء واى الشفاة هناك الاول؟
فنادى جبابرة العـالمـ ين نداء المدل بأمر جلل
لنا وحدنا صولجان العلا ومنا الرجاء ومنا الوجل
اذا ما نطقنا توالت خطو ب وصالت شعوب ودالت دول
ومن همسة تنجلى فتنة وفى مثلها يتدانى الاجل

هؤلاء هم الجبابره اصحاب الصولجان عند الشاعر وهـذا اسلوبهم فى الخطاب ، اما العباقره .

ونادى العباقره الملهمو ن صحاح المعانى فصاح الجمل
لنا وحدنا جائزات الشفا ة اذا اختلفت سبلها فى الجدل
فمنا الجمال ، ومنا الهـدى ومنا العزاء ، ومنا الجزل
و بالنطق يكـتمل الادمـ ى وفينا تكامل حتى اكتمل

عرفنا تشبيه الشاعر للجبابرة وتصويره للعباقرة و بقى علينا ان نتمشي معه أو بالاصح مع الشاعر « القاص » الذي يعرض أبطال قصصه فى لباقه وحذق . يقول : —

أقبل سرب الظباء المـلا ح رخيم البغام مليح الكحل

فقال وفي قوله لثغة كانك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجال الكلا م لنا القول فيكم رجال العمل
لمسنا شفاها ففاضت سنى وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تزوقون طعم الحيا ة وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها رحيق الخلود ورؤيا الأمل
فاطرق ربهم لحظــــة ونادي بأقربهم فامتثل
وقبل مبسمه قبلة تضرم منها مكان الخجل

وقال : —

أجل تلك أغلى الشفا ه فاصغوا جميعا وقالوا : أجل

وتسدل الستار ونسمــع الشاعر يبدى رأيه فى القبله متغزلا في الشفاه

بذا حكموا بمطول المطا ل فليسمعوا رأيي المرتجل
اذا التمسوا مثلا للشفا ه قلت لهم شفتاك المثل
لثمت الحياة بمبسميها وعاودت بعد السلو الغزل

. . . .

وللعقاد رأى فى الشعر منه انه يعمق الحياة و يجعل الساعة من العمر ساعات يقول « عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت كل ما في وسع الانسان ان يعيش » :

وشاعرنا شاعر بطبيعته ولدليكون فبانا تلمس عبقريته ولا يبعد

عليك ان تحيـل نثره شعراً منظـوما لانه صـادر عن نفس شاعره وموهبة فطرية

قال وهو طفل شعر طفلى جميل. منه

علم الحساب له مزايا جمة ... و به يزيد المرء في العرفان

وكذلك الجغرافيا تهدى الفتى ... لمسالك البلدان والوديان

وتعلم القرآن واذكر ربه ... فالعلم كل العلم فى القرآن

. . . .

يعرض عليك فى هذه القصيدة ما يختلج بصدره وما يفـكر فيه عقله من مختلف الفنون التي يتلقاها في المدرسة

ثم تدرج هذه الشاعرية الطفـلة وتنمو بنماء صاحبها وتنضـج بنضوجه فاذا به وهو فى الثامنة عشره من عمره يحدثنا عن السعـادة التى اعيت العالمين فاذا به الشاعر الفيلسوف . يقول

مه يا سعادة منى ... فما انا من رجالك

لا تطمعى اليوم منى ... فى السعى خلف خيالك

فقد سألتك حتي ... مللت طـول سـؤالك

وقـد جهلتك لمـا ... سـحرتني بجمالك

ان الحبيب بغيض ... اذا استعز بخالك

فـلا عمرى يبالى ... ولا امر يبـالك

اشـقى الانام اسير ... معلق بحبـالك

ثم يزدهر فنونه وتكتمل له ادوات الفن فأذا به الشاعر العظيم والعبقرى الحكيم . فيقول

اذا صاخت الاطماع فاصبر فأنها تنام اذا طال الصباح على النهم
وقهر الفتي آلامه فيه لذة وفى طاعة اللذات شيء من الالم

. . . .

وللعقاد خمريات تزرى بخمريات صاحب الرباعيات منها .

ردى حياتك فينا فان حييت حيينا
نعم وعشنا سنينا فى ساعة من زمان

. . . .

وابعدى الارض عنا وقربى الخلد منا
قد كنت فيه وكنا فنحن نبتنا مكان

. . . .

هات اسقني يانديم ان الرجاء عقيم
داء الحياة قديم معى على الامكان

الى هنا ينتهى بى المطاف عما سميته القسم الاول ، ارأيت ان كاتبنا قد جمع بين النثر والشعر واصاب فى النقد والترجمة واجاد فى الوصف والتصوير ، وصدق في الحس والشعور والتعبير ،وهل توافقني على انه اذا كان لفرنسا ان تفخر بموروا المؤرخ وهوجو الشاعر وغيرهما القاص وغيرهم الناقد وعلى انه اذا حق لالمانيا ان تتيه بالمؤرخ لودفيج

والشاعر جيتى فان لنا ان نباهى ونفتخر بان منا رجلا انجبته مصر جمع بين كل هذه الفنون وانه على رغم ذلك من العصاميين لم يتخرج من مدرسة، ولم يحمل شهادة جامعة، بل هو ابن نفسه ونشاطه ، أليس لنا ان نوارى عيوبنا فى الاختراع والاكتشاف وان نقول هاهى ذى مصر قد اهدت للعالم الرجل الذى يقول فيه الفيلسوف الانجليزى العظيم « سبنسر » « ان العالم بحاجة الى شاعر اكثر منه حاجة الى مخترع أو مكتشف » أليس لنا حق الفخر وكاتبنا قد جمع بجانب هذا وطنية خالصة سيكون الكلام عنها موضوع الفصل المقبل

« العقاد شاعر الوطنية »

من الشعراء من اذا تحدث عن الشباب تكلف الرفق بهم ولكن العقاد يأبى الا ان ينظر اليهم كابطال ولما كان حديثنا هذا الى الشباب فاظن ان من الخير ان اشير الى قصيدة قالها بمناسبة حادثة القطار المشهورة بايطاليا التي كان من نتائجها فقد بعض شبابنا الطلبة

لا نجد بهذه القصيدة اثرا للتهويل والعويل كما الفنا من بعض الشعراء فى هذه المناسبات وانما نسمع اهابة للشبان وتذكيرا لهم بخطرهم وهل من الشعر ما يشحذ عزيمة الشباب احسن من

لا يفدح الخطب البنين فانما	للفادحات عزائم الشبان
ان الشباب على الضحية قادر	وكذا العطية والغنى صنوان

ثم يمضي في تصوير اثر الشباب ويدعوه الى التمسك بالفضيلة مبينا له خطرها

فخر الخليقة ان ابر فان غوى فاحط منزلة من الديدان

وهنا أملت الوطنية على شاعرها ان يقدر الشباب وان يربط مصير الوطن بيديه

ابناء مصر وفي يديكم حظها اما الى الحسني او الخسران

خطوا لكم حرما يعزجيانه لا يستذل عزيزه لجبان

. . . .

صوت الشعب من صوت الله ، كلنا نعلم ذلك ولكن هل انشدنا شاعر اوهل سمعنا ان شاعرا تغلغت الوطنية في اعماق قلبه فنطق بلسان الشعب وقال كما قال العقاد

ما يبتغ الشعب لا يدفعه مقتدر من الطغاة ولا يمنعه مغتصب

فاطلب نصيبك شعب النيل واسم له وانظر بعينيك ماذا يفعل الدأب

ما بين ان تطلبوا المجد للعدلكم وان تنالوه الا العزم والطلب

. . . .

و بمناسبة عودة المغفور له سعد زغلول سنة ١٩٢٣ من منفاه يقول العقاد بلسان مصر

مصر التي غضبت مصر التي رضيت مصر التي ترتقي . مصر التي تثب

مصر التي في هواها الشمل مجتمع مصر التي في علاها السعي منشعب

فمن دعاها على الخالين مطرح ومن جفاها على الحالين مرتقب

هل يستطيع شاعر ان يصور مصر كما صورها العقاد وكما املت « مصرية » العقاد وشاعرنا يعلم ان مصر على حق فى مطلبها ويعتقد ويؤمن انها ستنال هذا الحق وكم اود ان نكون جميعا كالعقاد في امله وايمانه قال .

وستستقل فلا تقولوا انها صمد الهوان بها فلا استقلالا

وايمان العقاد الراسخ ؛ وانتصاره للقومية ، واخلاصه للزعامة ، كل ذلك يوحى اليه ان يتحدث عن زعامة سعد ويقارن بينها وبين الزعامات الاخرى مبينا قوام كل زعامة قال على لسان « سعد »

صال بالجيش « كمال » ومضى بذوى القمصان يسطو موسولين

وانا الامة والجيش معا وانا السيف جميعا واليمين

والعقاد للمؤمن المخلص هو العقاد الجبار الذى لا تنال منه الحوادث ولا يتقلب لتقلبها فمبدؤه هو

عداتى وصحبى لا اختلاف عليهمو سيعهدنى كل كما كان يعهد

هذه هى الرجولة الكاملة وهذا هو المثل الاعلى فى الثبات والتضحية . وهو دائم المفاخرة باجداده لا تمر فرصة حتى يذكر ابناء وطنه بماضيهم وما كان لهم من عز وسلطان يجب ان يستمد الاحفاد من هذا الماضي المجيد نورا يضيء لهم الطريق الى المجد قال عن هيكل « ادفو » .

ملك الفراعنة الحماة وخلفوا | للملك اعلاما بمصر طوالا
وخلا الا كاسرة البغاة كأنهم | عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه | مصر . يزيد شبابها اقبالا
تتقوض الاركان وهى كدأبها | من عهد نوح تربة ورجالا
عهد على الله القدير وذمة | ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا | قسط البنين مغارفا وخصالا
انا لنرجوها ونوقن انه | ما كان يوما لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا انها | صمد الهوان بها فلا استقلالا

هذه القصة تمزج الماض بالحاضر والمستقبل فبينما الشاعر يذكرنا بمصر الخالده و يصور الامم البائدة وهى هى لا تنال فيها الاحداث اذ به يدعونا الى تجنب القنوط والايمان بان ما كان يوما لا يكون محالا

وحسبى هذه الالمامة بشعر العقاد الوطنى الذى يعبر عن آمال الوطن وامانيه ، ولا سيما نشيده الخالد

قد رفعنا العلم للعلى والفدا
في ضمان السما

الى هنا انتهى بى المطاف فى ذلك الوادى العقادى الفسيح الارجاء ولا ادري متى يسعدنى التوفيق فاغوص مرة اخرى فى هذا البحر الزاخر . . .

طه حسين

« عقب حفلة تكريم الاستاذ العقـاد وتصريح »
« الدكتور طه حسين باعجـابه بشعره ثارت »
« ضجة فى بعض الصحف اثارهاخصوم العقاد وحملوا »
« على الدكتور طه. وقد كتبت هذا الفصل رداعلي »
« احد زعماء هذه الثورة ونشرته بصحيفة الاهرام »

. . كنت قد عزمت منذ عهد قريب على ان اتحدث عن علمين من اعلامنا ، احتلا فى تقديرى المكان الاسمى، وهما العقاد وطه ولعلى اردت من ذلك ان اقى بعض ديني لهما . الم يحسنا الى فى كثير من الاوقات فيبـــددا ما كان يخالجنى من يأس وأسف على نهضتنا الادبية الحديثة ؟ الم يوفقا فى كثير من الاحيان الى ان يجعلاني انسى نفسي وآلامها حين تلاوتى ما دبجه يراعهما ؟

وفيما انا اقرأ فى الصحف نبأ الانتهاء من ترجمة كتاب «الايام» الي الفرنسية اذ بى اقرأ فى احداها كلمة « لاديب » لم يجرؤ على ذكر اسمه تجني فيها علي الادب واسرف فى التجنى حتى عاب الدكتور طه حسين تتويجه للعقاد اميرا على الشعراء ثم تهكم واسرف فى التهكم

فلقب الدكتور بزعيم الادب العربى وأردف ذلك باستغفار الله ؟؟ لم الاستغفار ياصاحبي ؟ اهناك شك فى زعامة الرجل للادب ؟؟ اللهم ان كان ثمت شك فلايكون الا عندك ! ولا تكون عندئذ الامتحاملا أو جاهلا ! فاذا كنت الاول فلا ضـــير على الادب ورجاله من تحاملك . وان كنت الثانى فاحمد الله فالجهل خير من الغباء . وعلى ان احدثك عن الرجل لتبدل جهلك ... علما .

اتحدث معك اولا عن كتاب « الايام » وأرجو ان تقرأه وتقرأ معه « لامارتين » فى « رفائيله » و « جوتيه » في « آلامه » واناتول فرانس في « احلامه » ثم قل بربك اهناك فارق بين « كاتبنا » وبين شاعر فرنسا لامارتين فى التصوير ام هناك تفوق من جوتيه عليه في وصف الشعور ثم الا ترى معى انه قد وقف جنبا الى جنب مع اناتول فرانس فى دقة التعبير وقوة الملاحظة وان حظ كتابه من الشيوع والانتشار لا يقل عن حظ كتب هؤلاء ؟ ثم اخبرنى لم ترجم الانجليز ذلك الكتب الي لغتهم اتراهم خاطئين ؟ وان في المكتبة العربيه ما هو جدير بالترجمة واحق بها من « الايام » لم تقل هذا الكتاب للصينية والعبرية والروسية والالمانية واخيرا الفرنسية ألم يترجم لهذه اللغات على اعتبار انه الكتاب المصرى الذى يصلح لان يكون صورة للادب العربى الحديث انى استطيع اذا اصرح لك ان (الايام) لقى من العناية عند الامم المختلفة واللهجات المتباينة

مثل ما لقى عندنا ان لم يزد ، وان تألمت لشىء فى ناحيتنا الادبية فانى اتألم لان هذا الكتاب لم يفطن اليه اصحاب المسرح والسينما كانموذج للعصامية الجبارة وآية لتوقد الذهن . يخيل الي ان امم الغرب ستفطن الي هذه (القصة) التى تصور الحياة المصرية أدق تصوير وتمثل الريف المصرى اروع تمثيل وتخرجها قبل ان نخرجها نحن وهذا غاية التقصير

لماذا لا يمثل هذا الكتاب في السينما وهو الكتاب الوحيد الذى استطاع ان يعطى فكرة قوية عن القرية المصرية ؛ والكتاب المصري ، والمزارع والمفتش المصريين ، ثم هو فوق ذلك يضرب المثل للشباب فى الجد والاجتهاد ويقوى فى نفوسهم الامل

الم يقل لهم ان صاحب هذا المجد كان فتي لاينعم بنعمة البصر ولكنه باجتهاده فاق المبصرين ؟ كم اتمنى لهذا الكتاب ان يمثل على المسرح وان يدرس فى المدارس وان ينال حظا من العناية لايقل عن حظ امثاله من كتب الغرب التي تساوى معها فى جودة الاسلوب وصدق التعبير ، ومتانة التصوير

ندع الايام لنتحدث عن « الصيف » وسترى أن صاحبنا في أيامه هو فى « صيفه » الا انه فى الاول يصور لك القرية المصرية وفى الثانى يحدثك عن المصايف الاوربية ويحدثك فيه ايضا باسهاب عن الحنان الابوى والحب الزوجى المتبادل وبينما هو غارق فى تلك التأملات الجميلة والاوصاف البديعة اذ به يبلغه نبأ نعى « ثروت »

فاذا به يرثيه نثرا يجعلك تنسى الخنساء واخاها بل يرغمك على القول أنه تساوى في الروعة مع صاحب « علو فى الحياة وفى الممات » انظر فى هذا الرثاء للوفاء وكيف يتجسم وفى المصيبة وكيف تنزل بالصاحب في صاحبه فتخرجه عن وعيه فاذا به لا يرثيه وانما يرثى نفسه ويطلب لها العزاء. فاذا ضممت الصيف للايام فكأنك للمت للماما كاملا بالريف المصرى والمصيف الاوربى

ودعني اقف معك قليلا عن الحديث عن الايام والصيف لنتحدث عن « الادب الجاهلى » « وقادة الفكر » واجبنى هل قبل كتابه الاول ارتاح قارىء او باحث لما يراه من التخبط فى الكتابة عن الادب الجاهلى وقل لى هل استطاع قارىء أن يكون لنفسه فكرة متينة عن هذا الادب وان يطمئن لما يسمع قبل أن يقرأ رأى طه فيه

واقرأ قادة الفكر تعلم كيف درس صاحبنا التاريخ اليونانى وكيف حلق الفلسفة اليونانية ودرسها واخذ يعرض ابطالها على القارىء باسلوب قصصى جذاب ، هذا الكتاب الذى أنار الطريق للقراء وعلمهم كيف انتقلت الفلسفة من سقراط لافلاطون ، ومن هذا لارسطو ، ثم طرق كل واحد منهم فيها وحظه منها ثم هو يرشدهم بعد ذلك كيف انتقلت الفلسفه من رؤوس الفلاسفة الي صدور القادة والفاتحين فاذا بيوليوس يتمم مابدأ به الاسكندر وهكذا حتى لا يدع القارىء

الا وهو ملم باحوال هذا العالم القديم واراء فلاسفته ومناهجهم كل هذا في سفرصغير، و باسلوب سهل يحببه القراء والشباب خاصة فيقبلون عليه ويعلمون ماكانوا يجهلون

وتعالى معى نتحدث عن كتابه «على هامش السيرة » واخبرنى الم يحسن الرجل للعربية باخراجه هذا الكتاب النفيس ؟ استحلفك « بالادب » هل كان معظم شبابنا يعلم شيئا عن السيرة أو يرضي ان يقرأ فيها وهو يسمع انها كتبت فى مطولات لاطاقة له بقراءتها ولكن هذا الشباب ماعتم ان علم ان طه هالته تلك الحالة فكتب عن السيرة فاذا بالشباب يقرأ واذا بالسيرة تحفظ واذا « بصاحبنا » « سعيد » علمنا فيها كيف نشأ « المصطفي » وفى أى الحالات كان العالم وقتئذ وارانا كيف كانت الثورات والالام بجتاح الانسانية ولا يدعك تنتهي من هذا الهامش الا وقد ملك مشاعرك و بين لك ان فى قراءة السيرة الخير كل الخير فاذا أنت تستوعب كتب السيرة وتدرسها . هل من شك فى انه خدم الاسلام والعربية بهذا الكتاب الفريد كما خدم القومية المصرية بكتابه « الايام »

هل من شك في أن الرجل اظهرنا علي الفلسفة اليونانية وطرق تطورها

هل من شك في انه جعلنا نعلم الشيء الكثير عن الادب الجاهلي ورجاله

هل من شك فى انه علمنا كيف نشأ التمثيل اليونانى وكيف كتب شعراء اليونان قصصهم وكيف مثلت فى كتابه « الشعر التمثيلى عند اليونان »

ثم الم تقرأ كتابة « حافظ وشوقى » لتعلم ان الرجل كان الناقد الحر، والمؤرخ الصادق، على تضلع فى الكتابة عن الفلسفة والادب والوصف

. . . .

حدثتك عن كتب الدكتور وقد راعينا الايجاز لأن الكتابة عنها باسهاب وتوفيتها حقها وابداء الرأى الكامل عنها يستلزم المجلدت الضخمة . وقد نعود الآن للكلام عن هذه الكتب لامن حيث موضوعها وقيمتها الفنية والفائدة التي عادت على اللغه العربية من كتابتها، كلا وانما لنذكر تواضع كاتبها وهو يقدم الكتاب الذى يعجز عن وضعه عشرات الادباء ثم يقول فى مقدمته[1] (اقدم اليك هذا السفر واست اطمع فى ان يبلغ منك مكان الرضا ! ولعلى لا اجاوز الحق ان قلت انى قد اختلست هذا الكتاب اختلاسا) ثم يقول فى مقدمة كتاب اخر ولعله الاول من نوعه في اللغة اللعربيــة من حيث الايجاز والفائدة[2] (انني لم اكتب هذا للعلم والعلماء) اى

(١) قادة الفكرة

(٢) على هامش السيرة

تواضع هذا ! يكتب الكتاب الجزيل الفائدة الكثير النفع ثم يقول عنه (ولست اطمع فى ان يبلغ منك مكان الرضا) وما دمنا في الحديث عن تواضعه فلا يفوتنا ان نذكر كلمته الخالدة (اننى لم اقرأ للان شيئاً يرضينى ويرضي الناس) هو يقول انه لم يقرأ بعد الذى شهدناه منه وعرفنا فيه مبلغ تضلعه فى الآداب اليونانية والعربية والاوروبية، بديهى انه قرأ، وقرأ كثيرا ؛ واغلب الظن انه يقول ذلك ليضرب المثل للادباء الذين يتملكهم الغرور فيجرمون على انفسهم الاطلاع وقد يكون قال ذلك ليدلك على قيمه قوله (لاينبغى للاديب ان يرضي ولا ان يطمئن فالرضا علامة الجمود والاطمئنان آية القصور)

وقد تراه فى مواضيع اخرى يتحدث حديث الرجل الواثق من نفسه يقول للانسة مي

(. . تعالى نتعاون يا آنسة علي ان نصلح هذا الفساد ونرتفع بالثقافة الى حيث نسطتيع ان نلقى الغربيين فلا نستحى منهم)

وقد يكون طه الكاتب الاول فى مصر الذى يستطيع ان يستدر عبرات القارىء اذا شاء اقرأ مقاله فى الرسالة عن حديث الشهداء لترى كيف يسمو بهم وكيف يحدثك عنهم وما دمنا فى الحديث عن مقالاته فلنتحدث فى اخلاص الرجل لبلده وعنيانه لها وحنقه على الادباء لتقصيرهم وأظن ان أغلب مقالاته قريبة من القصص حتى اننى كثيرا ما حدثت نفسى لم لا يكتب طه (القصة) ولكن اليس كل رسالة

من رسالاته تصلح لوشاء « قصة » ؟ وها قد تحقق املنا وكتب قصته الاولي « اديب » وانا زعيم ان طه القاص سيرغم ادباء الغرب على الاعتراف ان فى مصر « قصة » وان الادب العربى تساوي مع ادبهم

ولنتحدث الآن عن طه فى الصحافة لتعلم ان المقالة اليومية التى كثيرا ما عابوا فيها السرعة وقالوا ان الكاتب العربى لا يستطيع اعطاء فكرة قوية عن موضوعه . ان صح ذلك فى كثير من الكتاب فهو لا يلتصق به اقرأ فى الكوكب مقالات « ملك » و « فقيد » و « زائر » و « سجين » فاذا كنت قد قرأت الرسالة و وثقت من ان صاحبنا الكاتب الوصفى والمؤلف القصصى فاقرأ مقالات الكوكب فستخرج من بعضها برثاء يجعلك تجزم ان الرثاء في النثر قد تكون له روعة اعظم من الرثاء فى الشعر اذا كان كاتبه طه حسين فاذا كنت تقرأ « ملك » فانك واجد تأبينا عظيما لملك عظيم ثم تقرأ « فقيد » فتجد رثاءاً مملوءاً بالاخلاص لشخصية هى رمز الاخلاص ثم تقرأ « زائر » فاذا بك امام وصفا للمنية وكيف تداهم دون سابق انذار . تجد الموت يدخل الي « الدار » فيأخذ احد رجالها الافذاذ ولكن للصيبة وعظمها ، والفجأة و وقعها ؛ لم تحل بين الكاتب والكتابة فهو يكتب ليؤدى رسالته وهو يكتب ليؤدى واجبه رغم تفطر قلبه ثم اقرأ « سجين » لتعلم كيف تحفظ حقوق الزمالة وكيف

على الاخلاص لهم فيسطر هذه « الدرر » القيمة

ولنتحدث الآن عن (طه)في(الوادى) فأذا كنت قداخذت فكرة عن كتبه وتعمقه فى البحث ليحقق للقارىء الفائدة واذا كنت قد اخذت فكرة عنه فى الرسالة بخصوص الوصف والقصة واذا كنت قد الممت بمقالاته فى الكوكب فدونك الوادى وتصفح فيه آيات النقد الصحيح الصريح الذى دل على تقدمنا فى الاخذ باساليب النقد النافعة ؛ وكم كنت اود لو تاحت لي الفرصه لحضرت دروسه لاحدثك عن طه العميد والاستاذ ولكنى اترك هذا الباب لطلبة الجامعة فهم اولى منى بالكتابة فيه

وأملي ان يكون سيدى المستغفر قد سلم معى بزعامة الدكتور طه حسين الادبية كما ارجو ان اكون وفقت فى دراسة العقاد حتى يعلم ان الاستاذ العميد كان على حق في تتويجه للعقاد واعجابه به ..

شوقى ...

من الشعراء من لاتجود قريحته بنظم الشعر الا في احوال خاصه يكون لها اتصال بعواطفه او شخصه او بلده . ولكن « شوقيا » كان شاعر الجيل وصاحب رسالة الى العالم اجمع منها مواساة المنكوب وتقدير النابغ ، وتحقير الظالم ، بغض النظر عن أى اعتبار فهو قبل كل شيء رجل الانسانية جمعاء لارجل امته فحسب وفوق انه كان الشاعر العالمى ، شاعر المناسبات كان (المعلم) الذى يفرض دروسه فرضا على من يحادثه ، قرأت له قصيدة ترحيب بغاندى عند مروزه بمصر فى طريقه الى انجلترا منها

من المائدة الخضراء	خذ حذرك ياغندى
ولاحظ ورق السير	وراقب ورق اللورد
ولاقى العبقريين لقاء	الند للند
وقل ا هاتوا أفاعيكم	انى الحاوى من الهند

لسنا بمتحدثين هنا عن موسيقية الشعر ولا عن جمال الالفاظ وانما نتحدث عن الشاعر الذى على نصحه وارشاده على غاندى زعيم الهند . ارأيت كيف يسمو الشاعر بنفسه ورسالته و يرى انه المرشد والمصباح الذى ينير الطريق للناس جميعا ومنهم الزعماء وقد تحدثت

عن هذه القصيدة فى باب الصور . .

. . . .

فى سنة ١٩٢٥ نـكبت اليابان بزلزال هائل اودى بكـثير من الارواح والاموال فما وصل نبأه الى مصر وسمعـه « شوقى » حتى رأى ان واجبه يقضي عليه أن يواس الأمة الشرقية المنـكوبة من جهة . ومن جهة اخرى يجعل من هـــذه طريقـا لان يلقى دروسه كمعلم

النكبة فى اليابان والشاعر في مصر ولكـنه لم يكن شاعر مصر وحدها بل كما قلنا شاعر العالم واليابان جزء من هذا العالم

وحديثنا الآن عن بيتين من هذه الشوقية الرائعه . قال

قف بطوكيو وطف على يوكهامه وسل القريتين كيف القيـامة

كأنى بشوقى يقـول : تعالوا .. انتم تسمعون عن يوم القيـامة وهو له : وتودون مشاهدته ولو أن هـذا ينبض من عقلـكم الباطن تودون مشاهدته ـ ولكنكم تخافون عذابه . فما رايكم اذا جعلتكـم ترونه دون ان يكـلفكم ذلك أرواحا وامـوالا . من اردا منكم ذلك فليركب البحر او الهواء الى اليابان ثم يقف فى عاصمتها وقفة قصـيرة ومن ثم يتحول الى يوكهامة ويطوف بارجائها و بعد أن يقف بين البلدين و يتأمل مافعله الزلزال بهما و ينظـــر للخرائب التى كانت قصورا وللمقابر التى كانت رياضا . وانا زعيم له انه سيكتشف صورة

وان تكن مصغرة ليوم القيامة الا انها تكفى لان تعطيه فكرة عن هذا اليوم العظيم

اراد الشاعر بقوله هذا ان يقوم بواجبه كشاعر فصور من حاله الزلزال صورة بشعه حتي وصفها بأنها كيوم القيامة اراد من ذلك ان يخلق من قلب الانسان القاسى شفقة وعطفا على هذه الامة المنكوبه وكم كان حكيما موقف « المعلم » شوقى تجاه تلاميذه فى هذا البيت من القصيدة نفسها

ثق بما شئت من زمانك الا صحبة العيش او جوار السلامه

يقول : ثق بما تريد . ثق بكل شيء .. لبس الشاعر ثوب القاضى العادل الفيلسوف الذى يقول للمتهم

« يجب ان تتقبل الحكم على انه نتيجة لتطهيرك ومحو ذنوبك »

فلا يحكم عليه حتى يهيء له جواً لائقا لتلقي الحكم . ثم لايزال به حتى يجعله يستحلفه ان ينطق بهذا الحكم فأذا نطق به لايلبث للمتهم أن يقطع الامل في كل شى . . . .

ثق بما شئت من زمانك الا ...

مسألة بسيطة تثق بكل شيء و بأى شيء ماعدا شيئا

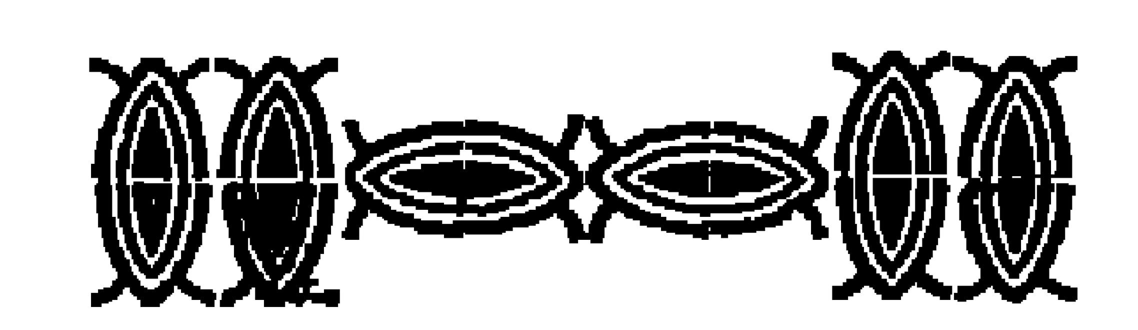
ماهو هذا الشيء ؟

« صحبة العيش أو جوار السلامه » وكيف اثق بكل شيء . وقد منعت عنى كل شيء ـ يالله ... لااضمن صحبة العيش ولا اثق

بصاحبة السلامة . وهل يبقى بعد ذلك وثوق بشيء ..

« شوقي » يعرف ذلك ولكنه يخشى من مجابهة تلاميذه بهذه الحقيقة المؤلمة فيحاول ان يجعل الامل يتلألأ امامهم فاذا وثق من انهم سكروا بنشوة هذا الامل ردهم الى الحقيقة فاذاهم امام دنيا ساخرة واوهام كاذبة . واذا به يأتيهم بالدليل الملموس على ان لاوثوق بشيء فى عالمهم الموبوء

دولة الشرق وهى فى ذروة العز ... تحار العيون فيها فخامه
لو تأملتها عشية جاشت ... خلتها فى يد القضاء حمامه
رجها رجة اكبت على قر ... نيه بوذا وزلزلت اقدامه



المـازنى

لا نذهب بعيدا اذا اطلقنا على الاستاذ المازنى « لقب الاديب المخضرم » فهو قد كابذ الادب التقليدي وسار فى ركاب القـدماء ثم طفر فاستطاع ان ينهض و يجدد و يسير فى مقدمة المجددين بخطوات واسعة نحو الادب العصرى الحديث

من كان يظن ان المازنى المولع بالسجع ومحا كاةالقدماء هو المازنى الصورة الناطقة الحيـة للـكاتب الروسي العظيم مكسيم جـــوركى والمرآه الصافيه لمارك تو ين

ولا ريب انه كاد يكون للمازنى مدرسة واتباع لولا انه لم يستطيع تكوين شخصية سياسية تتجه في اتجاه معروف كاصحاب العقـاد وهيكل وهذا مع الاسف الشديد عيب الادب في مصر فالقارىء ينتظر من الاديب ان يكون حزبيا ولا يتمكن من تقدير فنه الا اذا وافقه فى المبدأ السياسى وكان الاحرى بالقراء لو تركوا الاديب حرا فى مذهبه وعقيدته السياسية

واثر المازني فى القصة بارز وهو يميل الى القصص الواقعى ولو لم يكن له الا قدرته على التحرر من قيود القديم والابتكار الذى تحدثك به فصوله لـكان هذا وحده كفيلا ان يسمو به و يخلد اسمه فى سجل العظماء

عند ما كتب المازنى قصته الكبرى ابراهيم الكاتب، وقصته الثانية غريزة المرأة قامت ضجة كبرى حولها ولعل اصل هذه الضجة يرجع الى الاستغراب والدهشه اذ من كان يظن أو ينتظر ان المازنى الشاعر القديم ؟ والاديب الشيخ ، يظفر بهذا التطور الغريب

ولعل بعض الشباب قد ضاق بالرجل لمنافسته اياهم فى كتابة القصة لانهم كانوا يرجون من شيوخ الادب ان يتخلوا لهم عن الميدان القصصى وقد نسب بعضهم الي المازنى السرقه زورا ورددوا اسم جالسورثى وحاولوا ان يقدموا الادله ولكنها كانت واهية فلم تسطع ان تنهض على تأثر الرجل ـ بله السرقة

وللمازنى اسلوب منفرد بين الكتاب فانت تقرأ فصوله المضطردة فتعرفه احيانا من تعمده لكتابة الالفاظ الغريبة وشرحها واحيانا لتفكهه

واذا اردت ان ترى شخصا تنطبق عليه الجملة المأثورة « ادركته حرفة الادب » فلن تجد الا المازني فجلسة قصيرة اليه او الى مايكتب تجعلك تلمس شقاء الاديب و بؤس الفنان

وقد يكون لتقلبه في الاحزاب وتنقله فى الصحف سببا فى هذا البؤس فهو لو استطاع ان يظل فى جانب واحد كما اسلفنا لظفر بالاسم وضمن لنفسه الثراء والسعة

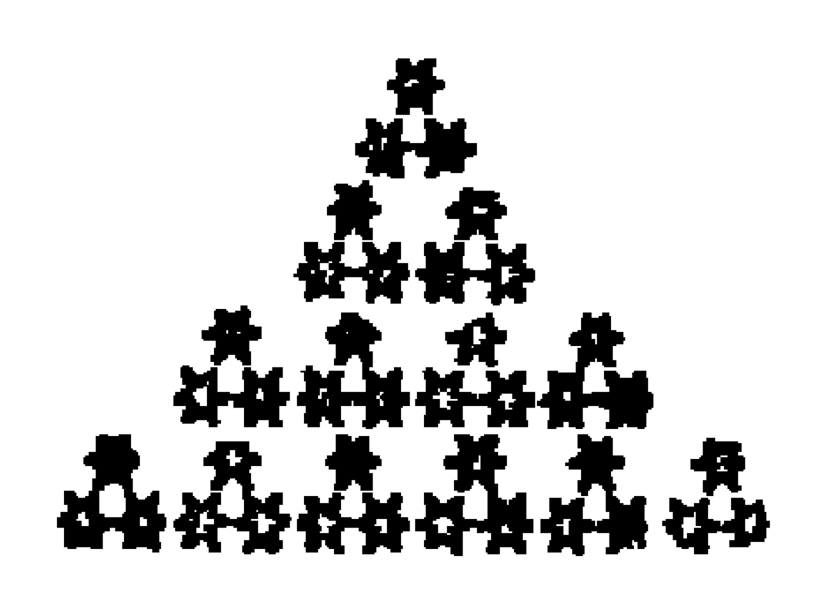
واحسن مايعجبني فى المازنى اسلوبه فى النقد ، والمازنى الناقد اروع من المازنى فى اى ميدان اخر والويل لمن ينقده اذا ظفر باخطاء

له أو سقم فى التعبير ؛ وقد وصفه احد المستشرقين فقال للمازنى الناقد كالميزاب الذى يتدفق فيغرق من ينقده و يكاد يكون المازني حلقة الاتصال بين الادب العربى والادب الغربى بمزجه بينهما ومحاولته ادخال التعبيرات الغربية في قصصه القصيرة

والمازنى نشأ وتثقف مع العقاد حتى ان الكثيرين يعتقدون ان ما ينطبق على احدهما ينطبق على الاخر لولا ان نفى ذلك العقاد فى احدى مقالاته التى ردفيها على مزاعم المازنى فى صدد علاقتهما بالاستاذ عبد الرحمن شكرى .

. . . .

واخيرا فالمازني رغم ما يشاع عنه شخصية من الشخصيات التى نفاخر بها والتى نهضت بالادب العربى نهضة لا بأس بها . . .



طاهر محمد ابو فاشا (١)

تألقت في سماء الادب العربي نجوم ساطعة يلوح انهـا ستقوم بانارة الطريق الا انها ينقصها قليل من الرعاية وشيء من العنايـة وهي كالورود التي لم تتفتـح بعد عن اكمامها ولـكنها تبهرنا بمنظرها واريجهـا

جالت في فكري هذه الخواطر وانا ارتل اناشيد سيد قطب، واشنف اذني بسماع قيثارة طاهر، واعيش في الخيال مع ناجي

قاريء شاب يقرأ لشعراء الشباب اليس من حقه اعلان اعجابه وابداء ارتياحه . خصوصا وان مايقـرأه بداية حسنة تبشر بمستقبل زاهر، يدفعني الى الكتابة عنهم اعجابي بأدبهم وما اراه من تعسف النقاد وتعنتهم مع بعضهم ويخيل الي ان الناقد يقيس مايقرأه لهذه الشبيبة المتحفزة بما قرأه لاعلام الكتاب السالفين مع ما في القياس من غبن ولو رجع ببصره وكان منصفا لرأي ان اكثر هؤلاء في شبابه كان

---

(١) عندما دفعت بالـكتاب الى المطبعة كنت معتزما ان اتحدث عن شعراء الشباب، يدفعني الى ذلك ايماني واعجابي بالادب الشاب، ولـكن ضيق المجال، وتنوع المواد ، حالا دون ذلك فآثرت ان اتحدث عن احدهم حتى يـكون للشباب نصيبه هذا ــ مع اعترافي بما في شعر ابي الوفا، وناجي، وسيد قطب، وغيرهم من المتعة والـكمال ، والروعة والجمال

اكثر انتاجا واعمق بحثا من كثير من الذين تزعموا الشعر والادب وانه لاينقصهم الا النظر اليهم بعين الانصاف والتشجيع

والذى نتحدث عنه الآن لم يزل يطلب العلم ومع ذلك فله مؤلفات عده في مسائل مختلفة احدها وموضع حديثنا الآن كتابه الاخير « القيثارة السارية »

يمتاز شاعر القيثارة عن كثير من شعراء الشباب بوفرة استعماله الحوار القصصي في شعره وهذه ظاهرة حسنة تجعلنا نجزم بان له مستقبلا باهرا فى القصة الشعرية وسأعرض عليك الآن شيئاً من ذلك يقول

نزلت بمهجتى فى السوق يوما   اعرضها قرارا من جنونى
وقمت منـاديا فى السوق يامن   له ميل الى قلب حزين
ايا من يشترى قلبا رقيقا   مليئا بالمعارف والفنون
ويعطينى بـه قلبـا غليظـا   لاحيا رغم عائلة الشجون

. . . .

ولما قلبوه هناك طنت   سماسرة القلوب على طنينى
وقال بدينهم بدريهات   فيالقساوة الرجل البدين

. . . .

انا ابغى فؤاداً من حديد   قوى او من الصخر المتين
هنا لك قال فى الم وحزن   فؤادك يابنى اخو طعون
ومن يرضى بان يعطيك قلبا   خلى الطعن بالقلب الطعين

. . . .

الم تعجبك عينة الخؤون فذاك من اللئام وذاخؤون

الا ترى معى ان هذه الابيات تكاد تكون قصة قائمة بذاتها تحتوي على فكرة غاية فى الاهمية فنان نزل بقلبه فى السوق واراد ان يبدله بقلب اخر ! وهناك يعرض قلبه فتقلبه السماسرة ثم يتكلم رئيسهم و يعرض عليه ان يأخذ دريهمات مقابل هذا القلب! او كيف يعيش صاحبنا بلا قلب ؟ انه يريد قلبا من الصخر المتين فيتهكم السمسار و يقول ومن يعطيك قلبا خلى الطعن بالقلب الطعين و يزيد بان السوق لا توجد بها سوى قلوب اللئام والخونه . ولماذا وضع هؤلاء قلوبهم فى السوق ؟ ليبدلوها باخرى نزيهة امينة وهذه النظرية تعطيك فكرة عن شاعرنا ونظرته للعالم وحسن ظنه به وامله فيه

وتعالى لنريك كيف يقدس الشباب حرية الفكر وكيف يقدس حرية الرأي و يشتهى ان يأخذ الجسم سجينا و يطلق الفكر حرا يقول :—

بكيت على الافكار تسعى اسيرة على حين هذا الحى يسعى بالاحجر

يقولون ما هذا ؟ الست محررا تسير كما تهوى وتجرى كما تجرى

خذوا جسمى الطليق الحر مكبلا وخلوا لى التفكير من عنت الاسر

وقد تكون القيثارة من الاوله الملموسة على ان شعر المناسبات في مصر لم يمت ولم يصدق الذين زعموا انه مات بموت حافظ وشوقى

ففي تصفحك للقيثارة ترى الشاعر يحدثك عن «ملكة الجمال» وستنتهي منها لتقرأ قصيدة عن « اليويو » وتفرغ من هذه لتستقبل قصيدة « تكريم المقاد »

. . . .

وحياة طاهر حياة شاعرية خالصة فهو يعيش في خيال شعري من الشباب والجمال وقد تراه ممتزا بشاعريته حتى في موته تجد انه اعتزم ان يناضل العرف والتقاليد . فهو يوصي اخوانه ان لا يأتوا بفقيه يقرأ على قبره بل بكروان يصدح وان لا يتصدقوا على المساكين بشيء مما جرت به العادة بل يهدوا الى المحبين وردا يقول :—

انا ان مت فاقرأوا لي قليلا من هديل الحمام في الافنان

. . . .

واذا احضروا هناك فقيها مقرئا فاطردوه عني بعيدا

واجعلوا مكانه كروانا يقرأ الحب والوفى والعهودا

. . . .

اقصدوا الى ضريحي فتاة وصفوا من كل الازاهر عنده

واذا مر سائل فدعوها تتصدق على الفقير بوردة

وقد يجول طاهر جولان في الفلسفة على قلتها رائعة يقول : —

ان لغز الحياة حل ولكن حله ليس للحياة حلول

ثم يتغالى في هذه القلة حتى تطفى روحه الشاعرة فيصيغ لك المثل

القديم « مصائب قوم عند قوم » شعرا يجعلك تحكم ان لشعره موسيقية عذبة يقول :—

وفقر غني ثراء فقير فمن ذاك هذا استمد الحياه
أرى الدهر بحرا اذا ما علا تحدر للمطمئن المياه

ثم يرى ان عقله قد تعب وراء البحث عن لغز الحيـاة فيحاول ان يبعده عن هذا البحث

حنانك يا عقـل ما انت حتى تحل الحياة وانت ابنها

واخيرا ارى ان اعرض شيئا من شعره الفـكاهى يقول مخاطبا « اديبـا » ...

نديد ارسطو ضريب هو ميروا اجبـنى فمثلك ما اجـدره
افى العلم ان الفطير لذيذ ؟؟ وما رأيك فى رغيف الذره

. . . .

اقاصيص وصور
من الحياة

الفت نظر القارىء الى ان ابطال هـذه الصـور والاقاصيص يعيشون بيننـا اوحت « القهوة » للمؤلف بالكتابة عنهم واقرر هنا ان القهوة تعـد اخصب مورد للـكاتب القاص بما تعرضـه له من الشخصيات المتنـافرة والاراء المتباينة وهو يعزو نجاحه فى كتابة الاقاصيص والصور الى القهوة . . .

يوميات اديب

صاحب هذه اليوميات شاب كثير الاطلاع يميل الى كتابة القصة لانها كما يقول تمكن الكاتب من التعبير عما يخالج نفسه وتتيح له ان يعيش مع ابطاله فى الجو الذى يود ان يرى فيه المجتمع ولكنه يمتاز عن كثير من الشباب بالهدوء والتفكير العميق ، ثار اولا فكان يكتب يوميا بلا انقطاع فلما خطر له ان يكتب القصة انكب على قراءة الكتب الخاصة بعلم النفس والاجتماع ، واندس بين مختلف الطبقات وانتهى الى أن يتبع حتى يستكمل ادوات الفن

دعاني الى منزله مع جماعة من الاصدقاء لنحكم على ذوقه في ترتيب مكتبته . ذهبنا والقي جمع الاصدقاء نظرة خاطفة على المكتبة وما تحويه ثم اخذوا يصغون لما يذيع الراديو فلما رأى الصديق انصرافهم عن المكتبة اخذ يجاذبني اطراف الحديث و كان ان طرقنا « روسو » وما نقل للعربية من آثاره ثم اخذ يمتدح طريقة روسو التى اشار اليها فى كتابه و بخاصة عند ما اشار بوجوب اقناع الطفل بانه هذا العام احسن من العام الماضي وعلى اثر ذلك انصرف الاصدقاء فذهب الصديق الى المذياع وعرك اذنه كما يقول الأستاذ البشرى الى

جهة اليسار وساد الصمت هنيهة ثم فتح درج مكتبه واخرج بضع كراسات كبيرة اختار منها ثلاثة ودفع بهم الى وهو يقول اقرأ هذه الكتب وأرجو ان تجدنى على حال يدفعك الي تحفيز همتي واثارة غريزة المنافسة كما يشاء روسو

اخذت تلك الكتب التي تحوى حياة صديقى اذ انها لم تكن الا يوميات ضمنها حياته الادبية وها انا اعرض خلاصتها على القراء ففيها تفكهة لاخوانى الناشئين فى الادب .

العام الاول

في كل صفحة من صفحات هذا العام يستعيذ من النحو ومن الذين ذكروه بشيء اسمه النحو فقد كان قبل ذلك يكتب وينشر ويخطب دون احتياط ودون توقف ولكنه منذ علم ان هناك نحوا وان للغة قواعد يجب معرفتها وهو حانق متألم . كان قبل ذلك يكتب ما يعن له بلا حذر اما الآن فيضطر احيانا لحذف جملة رائعة لان فيها كلمة لعب الشك برأسه في صحتها ويضع مكانها جملة اخري لا تعجبه ولكن ناحية الشك فيها معدومة ورغم وفرة كتابته وكثرة اطلاعه فان الكلمات التي يفقهها طلبة المدارس الابتدائية يتعثر فيها فهو يعترف بانه لا يدرى فى أى المواضع يكتب — كتابان وكتابين — وفى أيها يكتب — المسلمين والمسلمون — وقد حاول أن يتعلم النحو ولكن وقته لن يسمح له بذلك فهو لا يستطيع أن ينتهى من

عمله قبل الساعة الواحدة صباحا وأي استاذ يرضي أن يدرس له في ذلك الوقت؟؟ ينطق بالكلام صحيحا فى أغلب الاحيان؟ فقد يحدث ان يقرأ للذين تخرجوا من الازهر فلا يلحظون اغلاطه إلا قليلا والامر الذى يستغرب له الصديق أنه احيانا ما يجلس مع من يدرسون فى المدارس ويأخذون فى قراءة الشعر فيجد انه أحسن منهم فهما لأغراض الشاعر وأجمل منهم ذوقا فى فهمه، وكثيراً ما ابتسم حينما تذكر الليلة التى غنى فيها المطرب دور ,, تلفتت ظبية الوادى،، وأتى اليه جمع من الاصدقاء بينهم المدرس وطالب البكالوريا يسألونه ماذا يعنى الشاعر بقوله :—

ليلى مناد دعا ليلى فخف له نشو ان فى جنبات الصدر عربيد

ما هو هـــذا الشيء ؟؟ الذي خف معربداً ، يضحك لأنهم يسألونه عن شيء يجد هو انه من البساطة بحيث لا يتعذر فهمه على من كان مثلهم ,, وهذا العام انفرد فيه صاحبنا بالتفوق والكثرة فى نشر اسمه بالصحف فقد كانت هناك مسألة تتعلق ببعض اخواننا فى الدين والاستعمار .

وكانت الصحف ترحب بكل من يكتب فى هذا الموضوع فكان لا يمر يوم دون ان يكون للصديق اثر ! فتراه يستصرخ بالعالم الاسلامي لينجد اخوانه وتارة يهدد الدول الظالمة بعاقبة ظلمها ولم يدع الكتابة في هذا الشأن حتى استدعته نيابة دمنهور للتحقيق معه بناء على طلب المرحوم الاستاذ (داوود بركات) رئيس تحرير (الاهرام) وكان

وقد وصله خطاب تهديد بالقتل . ولما كان الصديق دائما يشنع بموقف تلك الصحيفة ازاء مسألة التعذيب التى يكتب بشأنها ويدعو الناس ٠٠٠٠ فقد اتهم بانه صاحب الخطاب وقد اجاب اجابه طريفة فى التحقيق منها « هذا الخطاب ليس مني فانا اعمل فى النور ومثل هذا الخطاب لا يرسله الا من يعمل فى الظلام، كيف ارسل هذا الخطاب وانا اكتب يوميا في الصحف وادعو الناس جهرا لمقاطعة(٠٠٠)ان الذى يعرف كيف يكتب ليس بحاجة لاستعمال هذا السلاح، ترك الكتابة في هذا الموضوع لان عائلته رأت انه من الخطر ان يسترسل فى الكتابة واخذت عليه المواثيق والصديق ليس بحانق على أهله فهو يعذرهم لانهم لم يتلقوا نصيبا من العلم يمكنهم من الحكم على الاشياء ولكن حنقه على الذين كانت العائلة تستشهد بهم على صحة رأيها فيجيبون رغم انهم متعلمون « خلينا نأكل عيش . احنا مالنا ومال كده » مضى عليه شهر لم يكتب ولكنه عاد فاندفع فى الكتابة رغم غضب العائلة عاد مدفوعا بدافع اقوى من الدافع الاول حينما كتب الاستاذ حافظ عوض مقاله المشهور (نحن والانجليز وجها لوجه) كتب الصديق فى هذا الموضوع كثيرا مثنيا على الكاتب ومحبذا لطريقته وانتهى منه ليكتب ردودا على اسئلة الصحف وموافقة على آراء بعض الكتاب ثم بدى له ان يمم وجهه شطر الادب فكان « أول ماشطح نطح » كتب نقدا لبعض

قصص المرحوم امير الشعراء التي اعجبته قوافيها ولم يعجب بفكرتها وسير حوادثها وطلب من المؤلف اذا كان لابدان تكون لمصر قصص شعرية ان يكلف احد كتاب القصة بكتابة (الفكرة) ثم يصيغها هو فى القالب الشعرى. وفى هذا العام نشر كتيب لكاتب معروف باسلوبه الفكه يتحدث فيه عن نفسه والصديق يعجبه هذا النوع وطالما نادى فى بعض مقالاته ان يحذو كتابنا حذو كتاب الغرب فيحدثونا عن انفسهم لان القارىء يمكنه اذ ذاك ان يجد نفسه مصورا فيما يكتبون، قرأ الصديق الكتاب فراقه صدق الكاتب وعدم تعمده اخفاء شخصيته فكتب له مهنئا ومعجبا ولم يمض على ذلك ثلاثة ايام حتى اتى اليه كتاب من المؤلف يشكره و يعد تهنئته تشجيعا من « اديب بار بزملائه الادباء » كان هذا الخطاب موضع حديث طويل مع اخوان الصديق الذين بدا عليهم الحسد والحقد لالشىء الا ان المؤلف المشهور الاستاذ فكرى اباظة أرسل له الرسالة وكتب عليها الاستاذ وكتب فيها كما أوضحت من اديب ... ولكن الصديق كان يعجب لحسد اخوانه و يتألم لانه كان يود نشر كتابه الذى تناول فيه كتاب المؤلف بالتحليل ولم يكن يحب أن تأتي اليه رسالة خاصة ـ في شهر مارس من هذا العام . اشتري الصديق بكل مرتبه « كتبا » وعلم الله كم قاسى هو ومن يعولهم من جراء ذلك ، دفعه الى ذلك كثرة ما طبع فى هذا الشهر ... ختم الصديق هذا العام بنبذة قرأها الشاعر

« ماكولى » اعجبته لانها توافق من وجوه كثيرة حالته قال ما كولى

« ان من الناس الذين احب ان اتكلم عنهم بالاحترام والوقار من تعتريه المخاوف التى لا أساس لها عما يسمونه المعارف السطحية فهم يقولون ان المعارف الجديرة بان تسمى بهذا الاسم هى من البركات الانسانية وهى خليفة الفضيلة و بشيرة الحرية ولكن مثل هذه المعارف يجب ان تكون عميقة، فالجماعة التى قد ورثت طرفا من الرياضيات وطرفا آخر من الهيئة وآخر من الكيمياء وقرأت شيئا من من الشعر واصابت شيئا آخر من التاريخ مثل هذه يقولون عنها ان وجودها مخطر بالمصلحة العامة . . هبنا تحدثنا عن رجال العلم العميق فهل نعنى بذلك انهم قد بلغوا قرار العلم . اننا اذا قارنا بين الحقائق القليلة التى نعرفها و بين ما يجهل من الحقائق التى لا تحصى لاعترفنا باننا جميعا سطحيون ـ فكلا نا مبتدىء »

العام الثانى

فى هذا العام ابتدأ الصديق يدرك ان الصحف لم تكن تكتب مقالاته الا لأنها توافق مبدأ الصحيفة وتوافق ضجة الحوادث التي تثيرها الصحف وان هذا لا يليق « بالاديب » ارسل بعض مقالات في الادب فأهملت و بث بمقالات فى السياسة فكان نصيبها كالاولى اذن هم كانوا ينشرون مقالاته التي تكون تحبيذا لكاتب اومجاراة لحادثة معينة شأنه شأن سائر الناس . . لن يرسل شيئا للصحف: فى هذا

العام أيضا . كثر الحديث حول « القصة » وكيف انها هى التى سمت بالادب الغربى وان الادب العربى مفتقر اليها فامتنع عن كتابة المقالات واخذ فى كتابة قصة تدور حوادثها فى اوروبا ويلوح انه كان متأثراً بقول بعض الكتاب (ان القصة لن تخلق فى مصر الا اذا خلقت امرأة جديدة) انتهى من كتابة القصة بعد ان امضى فى كتابتها ثلاثة اشهر . وتطلع . اين ينشرها؟ علكه الغرور وجال ببصره فى سماء الصحف والمجلات فرأى ان مجلة « السياسة الاسبوعية » محترمة وتكاد تنفرد بالكتابة عن الادب ولم يكن بمصر مجلة ادبية سواها ، رأي انها تليق بقصته — العفو — ورأى ان لا تنشر الا بها فبعث بالقصة اليها ومعها طوابع بريد بخمسة قروش ورجا من محرر المجلة أن يرد اليه القصة اذا لم يوافق على نشرها وقال انه ارسل الطوابع لذلك الغرض . مضي — شهر — اثنان — ثلاثة شهور لم تنشر القصة ولم تعد اليه ارسل خطابا للمجلة وحادث محررها تليفونيا بدون جدوى ، مضي الشهر الرابع ولم تنشر ولم تعد . رأى الصديق ان هذا الامر لا يليق بتلك المجلة فهى كما قلت محترمة ولا بالمحرر فله مكانة أدبية وسياسية ثم رأي ان في البلد مجلة انتقادية كانت فيما مضى نصيرة للمجلة وصاحبها وحزبها ولكنها الآن بسبب تقلبات السياسة قد انقلبت عليها فكتب مقالا ندد فيه بالمحرر وكتب له عنوانا « بروتس النبيل » ولكنه عاد فمزق المقال لانه قرأ لذلك المحرر كتابا لن

ينسى الفائدة واللذة التى جناهامنه فغفر للمحررمن اجل ذلك والتمس له المعاذير . وهو الآن يحمد الله لان هذه القصة لم تنشر فهى عنده بعد ذلك (هذيان مبتدىء) اخذ بعد ذلك يكتب القصص القصيرة متشبها بكتاب الروس كما يقول وارسل باحدى هذه القصص الى مجلة تقول أنها نصيرة الشباب وأرفق بها طابعى بريد لرجوعها فى حالة عدم نشرها ـ وصلت القصة للمجلة فأخذت طريقها الى سلة المهملات ووصلت الطوابع فأخذت سبيلها الى جيب المحرر فلم تنشر القصة ولم ترد اليه وقد اشار الصديق الى ذلك اشارة طريفة قال « ان القصة ليست بقصة وأنا التمس العذر للمحرر فى أخذه الطوابع فقد يكون اشترى بها « اسبيرين » لرأسه التى تصدعت بعد قراءتها » وهو يحمد الله أيضا لان هذه القصة لم تنشر ولم تشر المجلة اليها .. نشرت احدى الصحف موضوعا أدبياً له قارن فيه بين الادب العربى القديم والادب المصرى الحديث وانتصر فيه للأدب الحديث وكان هذا المقال قد أرسله لها فى العام الماضى وهو يعجب من نشره بعد هذه المدة الطويلة ويعزو نشره لأمرين، اما أن تكون فيران سلة المهملات كانت فى نزهة ابان هذه المدة ؛ واما أن يكون هناك عداء بين الصحيفة وبين الأدب القديم . أرسل لها مقالا ثانياً عن شعراء الاندلس فنشرته أيضاً ففرح وأخذ على نفسه عهداً أن يتعلم النحو وألا يرسل للصحيفة إلا كل شهر مقالا ولكن هل معنى هذا أنه أصبح مقلا لايكتب إلا كل شهر

ـ كلا ـ فهو ما انفك يكتب كل ليلة ولكنه يكتب ليحفظ مايكتبه في سلة مهملاته هو ـ وختم هذه السنة بشكوى مرة من العمل وتعب العمل ومن الكتابة التى تضطره لأن يكتب بعد جهاد فى سبيل العيش عنيف ويعجب من قوة سلطان هذه الكتابة فكم مرة حاول ألا يكتب ، بل كم مرة حاول أن يكتب فى يوم واحد من أيام الاسبوع فكان شيطانها يهزأ منه ثم يلعن هـــذه الظروف التى اقتضت أن يكون كاتبا بينما عمله لايسيغ له الكتابة ومؤهلاته وخاصة فى اللغة غير مرضية وغير مستوفاه بحيث تجعله يمضي فى الكتابة ثم حاول أن يكون قارئا فقط فلا يكتب فلم يوفق

العام الثالث

فى أوائل هذا العام يشعر بأنه يكتب صفحات عديدة ليمزق أكثرها وقد استعار كلمة استاذه الكبير فحشرها في يومياته ـ يكتب ثم يشطب ويمزق ويكتب ليشطب ويمزق، ثم أرشد الى أحد العلماء، وطلب منه أن يعلمه النحو ولكنه يقول أنه رغم انقضاء شهر لم يتعلم شيئا فلم يصبر وتنحى عن مواصلة الدرس وأخذ يملك نفسه واستطاع ان يمتنع عن ارسال ما يكتبه الي الصحف فمادام نصيبها سلة المهملات فلتكن سلته هو ، ولكن هل معنى ذلك انه قدر على ان يريح نفسه ويكتب قليـــلا كلا ، فهـــو ما زال يكتب كثيرا ليمـزق وليحفظ ـ وهو يقول انه يكتب كثيرا ليجلوا الصدأ عن ذهنه ، وليبعد

عن قلمه الاسماء والاشياء التي يندفع لكتابتها بوحي الدراسات والمطالعات ، والتي كثيرا ما تزاحمت في رأسه وتسابقت الي قلمه ـ يفعل ذلك لاجل ان يمضي في كتابة « قصة » يعلق عليها آمالا بعيدة ، فهو يكتب هذه الصحائف لينفدفع قلمه بكتابة الاشياء التي حشي بها رأسه وتود ان تتسرب فيجعلها تتسرب ويجلس لكتابة قصته فيكتب صفحات قليلة يمزق بعضها ويبقي البعض ، ثم يأخذ في تبيض ما كتبه ولكن الالم يأبي ان يفارقه ، فهو يتألم لانه رأى ان اطلاعه قد اساء اليه ، فهو يرى نفسه من الوجهة الصحية على غير ما يرام : ويرى ان قامته بها قصر وقد يبدو الصديق قصيرا ، ولكن ليس كما يتوهم وكما يخيل اليه ، فامثاله كثير ولكنه يتألم أكثر منهم ، لانه على ما يعتقد يشعر اكثر منهم بالنقص وهو يعزو قصر قامته لكثرة جلوسه في سبيل الاطلاع ، وأساء اليه الاطلاع لانه جعله ينظر لمهنته لا (كمثل اعلى) كما ينظر اصحاب هذه المهنة ولذلك فهم متفوقون عليه بعض الشيء ولولا ان له شركاء في هذا العمل لافلس بسبب هذا الاطلاع المستمر واحيانا يحنق على نفسه لانه يرى كل اخوانه وزملائه لهم (مثل اعلى) معقول يبلغه الكثير منهم اما هو فيتصور لنفسه (مثلا اعلى)من الصعب الوصول اليه واساء اليه الاطلاع لانه كشف له عن دراسته الحقيقية وعن مبلغ ما انتهى اليه فرأى انه ليس محمد على ما وصل اليه — لم يطلع اطلاعا كافيا — ولم يدرس دراسة وافية —

ولم يشبع نهمة ولم يرو ظمأه من الادب كما ينبغي وكما يحب هـو — أساء اليه الاطلاع لانه يجعله كوطني له كرامة يجب ان يذود عن وطنه ولـكن القدر أوجده في وسط بيئة تحرم عليه ذلك فعائلته لجهلها تخاف من أتفه الاشياء حتي انهم يرون ان مجرد ذكر اسمه في الصحف كاف لان يجعل البوليس ينـكل بهم ولم يوفق في جعلهم يتغاضون عن كتابته في الادب الا بعد ان افهمهم وشهدت الناس ان ليس في كتابة الادب خطراً وهو يري انه خليق به ان يحنق ويتألم ويحزن لهذه الاشياء ، وللصديق رأي في الحب منه — ان التدلل والتخنث الذي يبديه بعض الشباب اليوم في الملبس والاغاني وغيرها ليس من الرجوله في شيء وهو يعجب من المحب الباكي ما يبكيه الأن حبيبته لا تحبه كما يقول بعضهم اذن لا معنى للبكاء ولا معنى لحبها ما دامت غير راغبـة فيه ، لماذا يبكي هل المرأة لا تحب الا من يسكب دمعه ؟؟ كلا . فالمرأة ضعيفة لا تحب الا القوة — هذا هو خلاصة ما وجدته في هذه اليوميات التي تشمل حياة ثلاثة اعوام مضت من حياة ذلك الصديق .

فعسى ان يكون في الاعوام المقبلة احسن حظا واكثر توفيقـا فيحقق بعض ما يريد ...

« • » « • »

صورة صديق ..!!

شاء الله ألا اعرفه الا في شهر رمضان وألا اصاحبه الا في هذا الشهر المكرم . عرفته وعرفت معه غضب العائلة ! فصاحبي كان جميلا ، وصغيرا ومن كانت هذه حالته أوجبت تقاليد دمنهور الا يصاحبه من يكبره سنا الا طمعا فى جماله ، ولما كانت اعمارنا تكاد تكون متساوية ، أذن فالتقاليد توجب الابتعاد عنه عملا بالمثل العامى « مايخسرش الجدع الا الجدع » ولكن كيف السبيل لأبتعد عنه وصداقتنا من ذلك النوع الروحى الذى لاأشك لحظة فى ان ارواحنا كانت متصلة قبل ان يهاجر من سوريا موطنه الاصلى فى ايام الحرب كنا نتفق فى الميول والرغبات فصاحبي قارىء وانا قاريء وسبيل التعارف بيننا كان الادب ولا انسى اول يوم حادثنى فيه وبيده مجلة بل لاانسى اول جملة قالها فى هذا اليوم حضرتك ... فاجبته . نعم وحضرتك رمضان ... قال دونك ان هذه المجلة كانت قد اعلنت عن مسابقة زجلية يربحها ثلاثة اشخاص وكان من هؤلاء رمضان وكاتب هذه السطور ويأخذ الصديق فى ابداء بعض الملاحظات فهذا الزجل كان يجب أن يكون الاول اما ذلك فكان يجب الا يربح الجائزة ويودعنى بعد ان ابتاع منه شيئا من « البقلاوة » التى تركها على

احدى الموائد ولم يتذكرها الاوقتما ناداه احد الزبائن ـ يارمضان ـ وبعد ان يمضي فى سبيله اهم بالتهام البقلاوة فاذا معها زجلا يحى به الشاى الذى قدم اليه وتبدأ صداقتنا بهذا اللون الساذج و يكتب لها أن تطول رغم غضب الجميع وينتهى شهر رمضان و يرحل الصديق الى الاسكندرية حيث عائلته وتحل محله رسائله فنتلاقى على البعد وتتسامر رغم النأى و يأتى شهر رمضان فيأتى معه الصديق ووالده و نستأنف الحوار والنقاش فاذا برمضان قد امتنع عن الزجل وقراءة الزجل واذا به يقرأ الشعر و يحاول قرضه ثم يقدم الى اول « قصيدة » من شعره لااجد غضاضة فى ان اشرك القراء معي واضحكهم كما ضحكت فأنني علم الله ماتذكرت الصديق وهو يلقيها حتى استغرق فى الضحك قرأ قصيدة عمرو بن كلثوم

الا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

ثم بعد ان انتهى قال اسمع معلقة رمضان

افيقي من ثباتك ياأمينة وهاتى العرقسوس وناولينا

وخلى بيرة الافرنج تشكو جفانا عند مسيوخر يستومينا

وعلى هذا الوزن مايقرب من الخمسين « بيتا » و ينتهى رمضان وانا لا اكاد امتلك نفسي من الضحك فيقول انضحك مني. فاجيبه وخير الشعر مايضحك

فقال اظن انه لم يعجبك فاشير الى مجلة تكتب بيتا من الشعر

لاحد الشعراء البارزين ثم يكمل محررها كما يحب وأقول — ليه قصيدتك تتكافأ مع هذه القصيدة وما اظن الاشيطان محرر (الفكاهة) كان فى نزهة شيطانية وانى ليتقمص في صاحبه فاختلط عليه الامر وتقمص فيك ونمضى فى الضحك ، وفي مساء اليوم التالي يحضر الصديق و يعرض على ابياتا لشاعر النيل

وخمرة قبل انهم عصروها من خدود الملاح فى يوم عرس

***

فاسقنا ياغلام حتي ترانا لانستطيع الكلام الا بهمس

و بعد ان ينتهى منها يقول اسمع يا .. عايزين الليلة نشرب الخمر

فاجبت ياه هل نسيت صلاتك وهل نسيت ان غدا رمضان فيجيب لقد حبب الى حافظ الخمر ولابد من الشرب قلت حافظ ياصاحبي يصف الخمر التي عصروها من خدود الملاح وهل عصرت لنا شيئا من خدود بنات سوريا أنا لا اوافقك يستحيل ان نشرب فوقف وقال اذا لم تشرب معى فسأشرب بمفردي ـ رأيت ان لابد من موافقته وان من الحكمة عدم تركه « لشيطانه » وافكاره فواعدته بعد ساعة وتركني صائحا « بقلاوة باللوز » ليأتى بعد ساعة ثم ذهبت الى « ينى » جارنا فاتفقت معه على أن يذيب لنا قليلا من الشاى مع الماء و يضع السائل في زجاجة خمر وانا واثق ان رمضان لن يعرف « الفوله » فهو لم يشرب الخمر ابدا ولم يعرف طعمها

ذهبنا الى الحانة وأخذ كلما سكب كأسا يقول

فاسقنا يا غلام حتى ترانا لا نسطيع الكلام الابهمس

ويرى الصديق انه قدردد هذا البيت كثيرا فينظر الى الكأس الاخير ويردد قول شوقى

خف كاسا الحبب فهى فضة ذهب

ثم تنهض ويمضى رمضان «ببضاعته» يتمايل كالسكران لانه يعتقد انه سكر ويقابلنى فى الصباح فأشرح له ماعملته مع ينى فيشكرني وتكون هذه الحادثة سببا قوياً في تمكين روابط الصداقة

ويخيل لصاحبنا انه الان شاعر وان الشعراء مغرمون بالمناظر الطبيعية والانهار فيقترح ان نجعل ساعة من آخر النهار لهذه الرياضة يأبى فى هذه الساعة الا ان يعيش فى خياله الشعرى — عند ما يرى سفينة قادمة

قال — تفضل يا . . . ان هذه البارجة اتت لتقلك فأجيبه — لا انها تنتظرك أنت، وأحيانا تكون المركب لصديق نعرفه فنتقدم اليها ويقسم الصديق لابد من ركوبى أولا . فأمتنع وأقول لا يا صديقى ان هذه البارجة اتت لك ارسلتها حكومة سوريا خصيصا لذلك لانها تود ان تحتفل بك لكبير شعراءها . وينتهى رمضان واذا بالصديق قد استأذن والده في ان يمضى العيد معى فنقرر ان نحتفل به فى الاسكندرية بعيدا عن عائلته

« • » « • »

على رصيف محطة الرمل وقفنا فكان الناظر الينا يظن اننا من طلبة المدارس لصغر سننا ولملابسنا الانيقة ، كنت انا مندهشا من تلك المناظر فقد كانت هذه أول مرة ازور فيها عاصمة القطر الثانية فكان صديقي يقول ألم اقل لك ان الاسكندرية ستدهشك هيا بنا فاقول الى اين؟ الى الامام الي الخلف؟ انسير على شاطىء البحر، انجلس على التريانون كلها مناظر تخلب الالباب ، جذبني من ذراعي فتبعته و بينما نسير بجانب البلفي واذ بسيارة فاخرة تربعت فيها فتاة جميلة رشيقة بيدها مجلة فرنسية تسير الهوينا قال احدنا بلهجة صبيانية « فاضي يا اوسطى » وهى كلمة كنا نسمعها من اهالى دمنهور لم يكد يتم الجملة حتى تقف السيارة وتفتح الباب و بنغمة موسيقية « اتفضلوا » وقفنا كأنما تسمرت اقدامنا فى الارض « اتفضلوا » ركبنا السيارة وانطلقت بنا ولا تسأل عن الضجر والكدر الذي احاط بجو السيارة فالفتاة « مومس » وطالبة نقود ونحن طلاب خيال طلاب شعر طارت الاحلام اللذيذة ونزلنا من السيارة حانقين بعد أن نقدنا السائق نصف ريال وعدنا الى دمنهور ولم اشاهد حديقة الحيوانات كما كنت قدرت . ولم اتنزه فى حدائق الشلالات كما وعدنى صديقى ثم يرحل الصديق الى عائلته ونتبادل الرسائل و ينقضي العام واذا بالصديق يحضر مع والده ثم يخبرني انه امضى هذا العام فى قراءة الشعر والاطلاع على

الشعر وانه وعى المعلقات والم الماما كبيرا بشعر العصر العباسى وقرأ الشوقيات وديوان حافظ وأعلن لى اعجابه بمطران والعقاد الذى كان يقول عنهما فى العام الماضى ان شعرهما اعلى من القارىء وانه يتطلب لقراءته ثقافة ممتازة ثم يخبرنى ايضا انه قد أحضر معه عددا كبيراً من الكتب الشعرية وضعها خفية عن والده مع الدقيق الذى يصنعون منه الكنافة و يتكدر الصديق أول الامر لانه رأى انى تصاحبت مع أصدقاء وأن هؤلاء الاصدقاء على كثرة تخيفه وانه يخشى على صداقتنامنهم فاطمئنه وأعلمه انني وجدت ان هؤلاء عندهم ميل لابأس به لقراءة صحف القهوة ومجلاتها فاحتلت حتى استطعت ان اشركهم معى فى قراءة الكتب وانه سيرى من اخلاقهم واطلاعهم مايرضيه عنهم وعنى، نأخذ فى الحوار فيجد كل منا أن صاحبه قد تغيرت ميوله الادبية أما صداقتنا فيجد كل منا فى صديقه خير الصديق ولم تقو الميول والرغبات الادبية أن تقلل من صداقتنا ، وجدته لم يزل عند رأيه من حب الشعر والشعر فقط على حين هو يجدنى قد اعتبرت الشعر شيئا من اشياء يجب أن يلم بها القارىء وجد انى مع اصدقائى الجدد تدور كل أحاديثنا نحو الكتب الحديثة لكتاب مصر ونحو الادب الغربى قصصه ومسرحياته ثم هو لايقرأ فى المجلات والصحف الا الشعر بينما التهم أنا مافى المجلات من الادب بجميع انواعه وعلى الخصوص مايترجم لكتاب الغرب ولم ار بدا من

موافقته حتي لا اجمله يضيق بى فخصصنا يوم السبت لدراسة الشعر وان يكون يوم السبت للشعراء

يبدأ الصـــــديق لعرض قصص شوقى و يأخــــذ في مطالعة « كليو باترا » والحق ان يوم السبت هذا كان اعظم ايام رمضان متعة فقد كان يمتاز بالجلبة والحركة تصور جملة اصدقاء شبان قد حفظوا القصة واخذوا فى تمثيلها في « دكان الصديق » بعد أن يقفل بابها ثم تصور أحدهم يلقي

اما الشباب فقد بعد	ذهب الشباب فلم يعد
و يحى امن بعد السنين	وقد مررن بلا عدد
او بعد طول تجاربى	ومكان علمى في البلد
نجنى على الغانيات مالم	تجن قبل علي احـد

ثم ننسى واجب الممثل والمسرح ونلبس ثوب النقد فاذا بأحدنا يقول ان شوقى ما اسلس له الشعر فى هذه القصيدة الا لأنه يحكى شبابه الذاوى وان موسيقية هذه الابيات ترجع لكهولة الشاعر ولو كان قائلها شابا ما استطاع ان يقول ما قال شوقى ثم يطلب منا ان يقـول هو هذه القصيدة على ان نردد نحن معه البيت الاول

اما الشباب فقد بعد ذهب الشباب فلم يعد

وكانت حالتنا فى هذا الوقت لا تختلف فى كثير ولا قليل عن منظر «الندابات» في الجنائز فقد كنا نلطم خدودنا ونحن نردد « اما

الشباب» .. ويمضى بقية الاسبوع فى قراءة ما يقع فى ايدينا والصديق حزين فلا يشاركنا لانه لا يقرأ الا الشعر ويأتى السبت الثانى فاذا بالصديق قد أخذ له العدة فاحضر بعض مقطوعات من الشعر كانت نشرت فى الصحف ثم يشترط علينا ان يقرأ هو فاليـــوم يومه ونحن نسمع فيقرأ

قد كنت أوثر ان تقول رثائى يا منصف الموتى من الاحياء

ولكن ثورة الشباب لن تتركنا نتمم ونأخذ فى النقاش ويقول احدنا لسنا بحاجة لسماعها فقد قرأناها انما نحن بحاجة لدراستها ونقدها ونمضى في تقليب البيت على وجوه عدة فيقول أحدنا انه لوفاء كريم من شوقى لصديقه حافظ كان يود لو يفتدى به فيجيب آخر لا ـ انها انانية انه كان يود ان يموت ولا يضطر لرثاء حافظ وتدور معركة كلامية لا تنتهى إلا برمضان وقد طوى الصحيفة واخذ فى قراءة اخرى

بنى مصر ارفعوا الغارا وحيوا بطل الهنـد

الي أن يأتى الي :

سلام النيل يا غندى وهذا الزهر من عندى
تحيات من الاهرام والـ . . . .

وهنا تبدأ الحركة ثانية فيقول صديق ومتى خول للشاعر أن يحيي الضيف باسم النيل ؟ فيجيب رمضان ـ انها رفعة من شوقى وخدمة

للادب وحبذا لو عرفناها معشر الشباب فاعتززنا بأدبنا يقول شوقى سلام النيل يا غنـدى . ومن أولي من الاديب بالـكلام نيابة عن النيل؟ من يقدم سلام النيل ان لم يقـدمه الشاعر الا ان للشاعر منزلة رفيعة عرفها شوقى فحيا غندى نيابة عن النيل ليقول للشباب ان الاديب ليس كما يقولون بائسا وتعسا بل هو صاحب كل شىء و يقول

من المائدة الخضراء	خذ حذرك ياغندى
ولاحظ ورق السير	وراقب ورق اللورد
ولاقى العبقريين	لقاء الند للند
وقل هاتوا أفاعيكم	انى الحاوي من الهند

و يتوقف رمضان ليهلل لشوقي الذى وقف موقف الاستاذ الناصح لزعيم الهند ثم ينتهى منها ليقرأ فصلا من رواية « مجنـون ليلى » و يشاء الله أن يقرأ تحريض منافس قيس الذى اراد ان يوقد الفتنة وان يجعل العرب تفتك بالمجنون و يأبى خبث احدنا الا ان يذكرنا بموقف انطونيو في يوليوس شكسبير ثم يوازن بين الموقفين في خبث وغمز ينتهى بان يعترف الجميع خوفا من الشجار ان هذا من « توارد الخواطر » و يصمم رمضـان على ألا يقـرأ شيئـا من شعر شوقى وحافظ وانه من الآن سيقرأ لنا المتنبي والمعرى والبحـتري و ينقضي رمضان و يعلمني الصديق انه استأذن والده في ان يمضي العيد معى فنذهب الى القاهرة ولم يفارق صديقى جنونه الشعرى وابى الا

ان يحتفظ بخياله ذهبنا الى الاهرام وركبنا الابل ودفعنا الاجرة مقدما ثم اذا به يهمس فى اذنى سادعوك يا أمين بك وتدعونى بصلاح بك ولا تنس اننى ابن الامير ..

حضرت خصيصا لزيارة الاهرام ، مناظر جميلة ياصلاح بك .. جدا يا امين بك ـ لا شك ان والدك الامير قدشاهدها ولذلك فهو حتم عليك زيارة الاهرام .. نعم ، ولـكن دفعنا الثمن غاليا دفعنـا اجرة الجمال ثلاث مرات الاولى عند « كركور » والثانية فى نصف الطريق اذ وجدنا الذى يتبعنا شخص آخر غير كركور لم تنفع معه محاولتنا وقولنا له اننا دفعنا مقدما اذ زعم ان الذى اخـــذ منا الاجرة لص وان الجمال ملـكه هو وفي رجوعنا تقدنا الجمال الثاني فاذا الذى خلفنا شخصـا ثالثا واذا به يطالب الاجرة فدفعنا وكانت فى كل دفعة « ريال كامل » ونزلنـا من علي ظهور الابل وانا اقول هيا يا سمو الامير هيا يا امـير النكبات . و يأبى الامير تناول الشاى الا فى « مينا هوس » « يا أخى نروح لخان الخليلى » فيقول « هو احنا كل يوم فى مصر » والله لن اشرب الشاى اليوم الا فى مينا هوس شربنا الشاي ودفعنا ثمنه الذى يكفي لتناول الشاى شهراً فى مقهى بلدية وقلت « على فين يا سمو الامير » فيجيب « رويال » ونبارح السينما وسموه قد صمم على ان يشرب « الشمبانيا » يا رمضان فيقول ـ لا ـ سمو الامير ـ ياسمو الامير اعتقنا من الشمبانيا فيقول « هو احنا كل يوم فى مصر »

وفي الصباح نجرد الميزانية فاذا معنا ثلاثة قروش وأربعة ملاليم نغادر الفندق ويأتي الخادم ويقول شاي بلبن — فيقول رمضان لا سنأكل فولا ونأكل الفول ونمضي الى قهوة بلدية فنشرب كنكة بسكر ونجرد الميزانية باقي قرش واحد واربعة ملاليم ويصيح بائع الصحف الاهرام والسياسة والجهاد وا . . . فاناديه واطلب منه الاهرام والجهاد فيصرخ رمضان ـ تكفى واحده اليوم هذا ليس يوم صحف قلت لابد من الاهرام والجهاد على الاقل فيقول أنت لم تقرأ صحف الامس معك الكوكب والبلاغ فاجبته اسكت ياصاحبي انسيت ان اليوم الثلاثاء والجهاد به صفحة ادبية فيها شعر فيقول تكفى الجهاد ولكنى كنت اخذت الصحيفتين ومضى البائع ولاول مرة اعرض على صديقى الشعر فيأبى ان يقرأه ولاول مرة يسلم ان الغذاء خير من الشعر ونسير على غير هدي فاذا بنا أمام المحطة واذا بأيدينا ممسكة بالنصف الباقى من تذاكر العيد واذا بنا نحمد لمصلحة السكة الحديد حكمتها في جعل تذاكر الاعياد ذهابا وايابا وفى القطار يشرب الصديق بملاليه ليموناده حتى ينسي لدغة الجوع الذى يداعبنا ونأتى الي دمنهور رمضان و .. بعد أن غادرناها صلاح بك نجل الامير وأمين بك صديقه

بين الوظيفة والادب (١)

تحية أرق من النسيم اذا هفا وشوقا صاخبا معربدا الى جلسة من جلساتك الادبيــة اللطيفة حيث نتجـاذب اطراف الاحاديث ونطرق مختلف الوان الدراسات الطريفة وانى لاازال اذكـر تلك الجلسات التي ترف عليها اطياف اللذة الفنية الخالصة تلك التي كـنا نعيش فيها بارواحنا نعانق الاخيلة الشعرية الجميلة والاحلام العـذبة وذلك الحوار الطريف والدعابات اللاذعة والتعليقات التي لانهايـة لها على انتاج الادباء فما يكاد الـكتاب يخرج الي السوق حتى تتلقفه « المدرسة » كما كنا نسميها ونأخذ في دراسته دراسة عميقـة تتصل بأدب الـكاتب وثقافته ومدى تفكيره ومنحاه والفـكرة التى عالجها ومدى توفيقه فى رسم شخصياته التى تحدث عنها وعاشت بين دفتى كتابه ان كان المؤلف يعالج القصة.وكم كـنا نسخر ونسرف فى السخرية اذا سف الـكاتب او خانه التوفيق .وقصائد الشعـراء التى

---

(١) عندما كان الصديق الـكاتب الاديب محمود علوان باشمون . كنا نتبادل الرسائل الادبية فعلى ضوء هذه الرسائل ووحى الاتصال الروحى رسمت للاديب الموظف هذه الصورة فى قالب رسالة ؟

كنا نتناولها بالشعر والتعليق ونقارن بينها و بين ماقاله شاعر آخر وكم كنا نعجب مما يسمونه توارد الخواطر ونسخر منهم!! نسخر من الفكرة التي تلبس عشرة أثواب ـ وابناء (المدرسة) من للتأديبين او الذين كنت تتنسم فيهم ميلا للثقافة فكانوا يجدون من حدبك الشيء الكثير فتمدهم بالكتب القيمة وتتولى شرح مااستغلق عليهم. وهكذا كنت تنفث فيهم من روحك وكأنك تريد ان تخلق من كل من يعرفك او يصاحبك أديبا أو محبا للادب وهؤلاء الطلبة الذين كنت تجادلهم وسرعان مايترسم علي وجهك صور من الالم لهذا التعليم الناقص الذى لايؤهلهم لان يأخذوا حظا من الثقافة بل كآلات في دواوين الحكومه ومداعباتك الطريفة فاذا سألك احدهم مجلة من المجلات التي تنشر الادب الغث اليسير دفعت اليه « بالرسالة » فلا يلبث بعد ان يقلب صفحاتها ان يدفع بها اليك فى ملل ظاهر ...طالبا مجلة اخرى

كنت اود ان اكتب اليك الفينه بعد الفينه ولكن العمل وكثرته وتكريس وقتي وفاء له جعلني أنسى كل شيء وأضحى بكل شيء ولقد شاء الله ان تخرجني من عالمي الذى غمرت فيه من مقابر الاحياء التى وئدت فيها الى عالمك عالم الفن والجمال وان تكون يقظتى بعد هذا الحلم المزعج الذى طال مداه ... اكتب اليك وقد خلعت عنى هذا العالم الذى يحيط بى ويغمرنى ويجعلني اتخبط على غير هدى بين حنياته . هذا العالم الذى استعبدنى وأحالنى الى رجل مادي الشعور

لا يفهم الالفة للماده والارقام والسجلات والمعاملات التجارية والتعليمات وصرفني عن جو الاطياف والخيالات الحالمة الحنون خلعت عن نفسي رداء هذا العالم لاهيم معك في سماء الخيال نحج الى معبد (ابو لون) ونعرج على مدرسة ارسطو معلم الانسانيـــة الاول ونردد الانشودة الخالدة « المعرفة هي القـــوة » .. عالم الاسلوب وجماله والفكرة وروعتها والموضوع وجدته والقصة وحبكتها وتلوين شخصياتها لا كما عشت هذين العامين الذين أعتقد انهما ليسا من حياتي بل كابوس مزعج ثقيل . ولابد لهذا الليل المدلهم من أخر ... عشت لا اتحدث الا عن الحسابات والفوائد ... هي ساعات قلائل اختلسها من وقتي اعيش فيها لنفسي اغوص فيها باعثا الذكريات الحالمه والاحلام الذهبية التي تبددت على صخرة الحقيقة الصماء ، ساعات قليلة في حياة روحية اشعر بالنشوة تنساب الى نفسي فتسكب فيها راحة كتلك التي يستشعرها المكلوم بعد أن نفث عن صدره بدمع يرسله مدرارا ليزيل شجونه وبلابله . . .

لست ادري لم يبدو القلم حائرا مضطربا في يدي وقد عرفتـه مطواعا ولست ادري سر هذا الركود الذهني والقحط الوجداني وللسبغة الروحية التي تكتنف حياتي والاشباح السوداء والخيالات المؤلمة التي تجول برأسي وتحطم اعصابي

الجرس يدق والرئيس يرسل في طلبي مستفسرا عن عمل مصلحي

استغلق عليه ... اكتب اليك بعـد مبارحتي لمكتب الرئيس ، و بعـد ان قفر المكان من العملاء الذين يفسدون على تفكيرى و يبددون كل رغبة فى الكتابة بالحاحهم وجلبتهم بسبب و بلاسبب المعدة تناديني ولكنني البي نداء عاطفتي التي تدفعني الي الكتابة اليك مزجيا اليك بعض ما يجول بنفسى ، اريد العيش بضع ساعة فى جو شاعري جميل ، فى حلم لذيذ مؤملا ان يطول والا تتفتح عيناي على الحقيقة المرة المقذعة

لطالما رددت على مسمعك انه لو كتب لى الأستقرار فى الوظيفة لكان انتاجى وفيرا . . لعن الله الاستقرار ولعن الله الوظائف اقـد صدق من قال ان الوظيفة والادب لايتفقان .. فالاديب يريـد أن يعيش بروحه بعيـــدا عن القيود والاغلال التى يكبل بها الموظف حسبتها الحلم الجميل ولكن الحقيقة صدمتنى سافرة ورأيت العالم في ثو به العارى ، فى ثو به الحقيقى فى غير مازيف أو رياء . .

تبدد الحلم الذى لم يدم أمده ولا تنس أننا نشأنا فى دمنهورمهد الاعمال الحرة والعصامية بعيدين عن الوظائف والموظفين فكنا نخال الوظائف النعيم المقيم ... فاذا هى الرياء والنفاق فى ابشع صورة ، لا تستطيع ان تجهر برأيك وتعبر عما يخالجك والا عرضت للتنكيل والعذاب ، وزملاء لا تربطنى بهم رابطة ثقافة أو اتصال روحى بل كل منا فى واديه . . . ، فرئيس مغرور رفعته الاقدار القاسية الي منصبه

وصله عن الطريق المحسوبيه ، تخاله وهو يتبختر بيننا وكأنه جمع الدنيا والدين بين برديه ، والزملاء الذين لا يطيب لهم العيش الا في جو موبوء سام يكاد يختنق يعيشون للدس والايقاع واختلاق الاكاذيب وللفتريات ينسبونها الى زملائهم علهم يصعدون على اكتافهم وما علموا ان الدس الحقير دليل الخذلان وسلاح مغلول لا يلجأ اليه الا كل نذل جبان مفلوك وانه لتحضرني صورة جان سرفيان وكيف تجمع زملاءه على الكيد له عند رئيسه تلك التي ابدع اناتول فرانس في رسمها ، فاذا ما هدأ كل شيء الا من فرقعة الألة الكاتبة ارتفع صوتي مرددا

ومن نكد الدنيا على الحران يرى

صديقا له ما من صداقته بد

غير انى وجدت نفسي فى حل من ان استبدل كلمة الصديق والصداقة بالزميل والزمالة ، انه مما يؤسف له انني لم اجد بينهم من يستحق ان اتخذه كصديق ... بجوارى زميل يبدو بوجهه الاصفر الكالح وجفونه المنتفخه وجسمه النحيل كمومياء وقد زاد الله فى بشاعته فارتسم على وجهه علامات الدس والمخاتلة والافتراء هذا الذى اصطلحنا على تسميته (باخناتون) يكاد يعد على انفاسي ويجول بعينين كعيني دب قذر مختلس النظرات يريد ان يقف على ما اكتب عله يجد مادة لدسه يلصقها بي ، فأين انا من الخيالات الحالمة والروح الشاعرية

والنفس المرحة الطروب التي تنطلق الى غير غاية تبحث عن الجمال الروحى والفكرى ، عن لذائذ الحياة محوطة بجو من البوهيمية

لست ادرى بأى لسان أشكرك على اتاحتك لى هذه الساعة الحلوة التى ذكرتنى فيها باستاذنا طه بمناسبة تهكم ذلك الشاعر الذى ينشد بلغة الجاهلية لقد اغرقت فى الضحك حينما قرأت ان هذا المهرج يعيب على استاذنا طه اعجابه بالشاعر الكبير عباس محمود العقاد واطرائه لشاعريته الممتازة ولكنها الاحقاد ... أرغمنى زميلى على مرافقته للعشاء ولكنني لن ارسل لك خطابى قبل ان انتهى منه لان هذا لا يكفيني ...

هأنذا اكتب اليك وقد لاح النهار وارسلت الغزالة اول خيط من خيوطها الذهبية اكتب اليك مختلسا النظرات للشفق الوردي يعانق اشجار السرور الطويلة التي تحيط باشمون . في هذا السكون الشامل تذكرتك وتذكرت رسالتي التى لم اتممها ... ها قد بدأ النشاط يدب فى الكائنات المستكينة التى خلدت الى الراحة بعد العناء وقد بدأت الطيور تهجر اوكارها تزقزق في نغمات رائعة تثير الحنان وحالم الذكريات في النفس ... اكتب اليك وقد تصاعد الدخان من كوب الشاى فامتزج بدخان أخر لفافه تبغ كانت معى وهاهو ذا الدخان ينطلق ليعقد شبه اكليل فوق الجمال المارة من تحت النافذة تحمل عنوان ثروة مصر ... قد كنت أؤمل ان اكون سعيدا فى

ظل الوظيفة وقد حسبت الاستقرار خير وسيلة لبناء مجد ادبي ولكن خابت الامال، وتحطمت الاحلام، على صخرة الوظيفة .. كنت اتبرم بالحياة البوهيمية التي كنت احياها وكنت اعدها معربدة صاخبة لاهية لاتتيح العمل والانتاج القيم ولكنني ايقنت انها حياة الفنان التي تطيب لها نفسه فقد حسبت حياة الدواوين فيها متسع للكتابة والاطلاع ولكن تصور موظفا يضطر ان يعمل للصباح فى مكتبه وهل ليوم عينا لا، لقد استمرت هذه الحالة ثلاثة اسابيع . لقد قست الحياة بشكل بشع يثير الألم فى النفس وتلك هي حياة الموظف فى بنك التسليف ولكن هناك انوار قدسية ترسل شعاعها فتنير ظلمة نفسي وتبدد اليأس الذي بدأ يتسرب اليها تلك الانوار هي رسائلك والمقتطفات التي تقتطفها من الصفحات الادبية التى تشترك فى تحريرها وترسلها الي

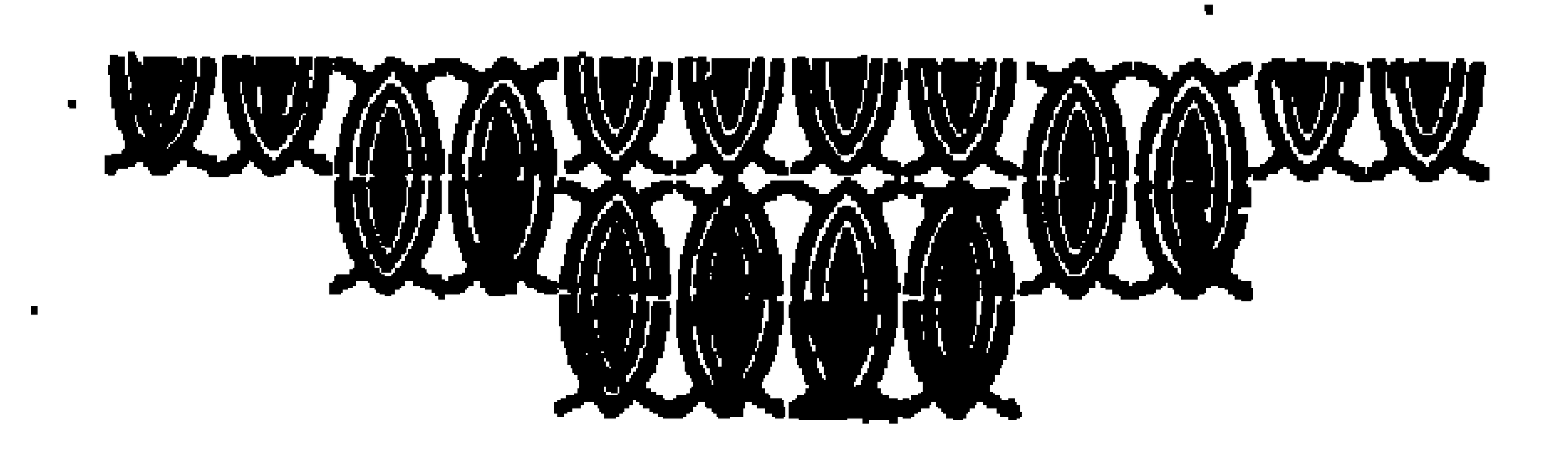
استقبلت رسالتك الاخيرة بنفس مفعمة بالسرور وصاحبتك فى الصباح والمساء واذا ما سكن كل شيء، وسط ضجة اهل الريف فى البنك ، فى ساعات السكون السحري الذي يغمر اطراف اشمون. صاحبتك فى مختلف هذه الاجواء علني اتمكن من الكتابة اليك كتابة ترضي هوايتك ورحت اتصيد لك السقطات اريد ان احوز اعجابك وحتى ادخل السرور الي نفسك ولتعرف انى ما زلت كما تعرفني اتذوق الادب الرفيع ... صاحبتك حتى ضجر صاحبي الذي زاملني في العمل والمسكن وحتى ظن ان هذه الرسالة التى اطويها وما

البث ان! نشرها وحتى تسرب الى نفسه من كثرة طى الرسالة ونشرها انها رسالة من فتاة وانني رغم عملى الكثير احيي حياة عاطفية .. حر قلبي ما أبعدنى عنها اليوم

احب ان اعيش معك فى هذه الرسالة طويلا ولكن آه من العمل وكثرته انه يباعد بينى وبين المتعة الروحية ، آمنت بقولك الذى كنت دائما تردده عند ما يلح عليك نداء العمل « ان شر المساجين سجين الفكرة »

اكتب الى كثيرا وبخاصة عن الصور التى تعاقبت على القهوة بعد سفرى لأقف من خلال سطورك على الآراء المتنافرة والنفسيات المتباينة فأضمها الى تجاريبى ....

اكتب الى كثيرا لتنتشل نفسى من هذه الوحدة التي تتردى فيها ... والى اللقاء ..



سلة المهملات ..!

قصة رمزية

تصور ما يعانيه أدباء الشباب وما تقابل به عصارة قرائحهم

« المكان — غرفة رئاسة التحرير — مكتب فخم »
« بادواته — كرسي المكتب لم يشغله أحد — الجو هادىء لا »
« يعكره الا حفيف الاوراق التي تعج بها سلة المهملات »

سلة المهملات متبرمة — اما كفا كن لغطا ومطاحنة ايتها الوريقات البذيئة . دعوني استقبل الورقة الآتية . لقد كنت راحة ايام المحرر الاول اما الآن والمحرر الجديد لا يعترف باصحابكم كأدباء ولا ينظر الا الى الامضاء فما اشد تعسي وما اكثر تعبي من لجاجتكم .
ها كن رسالة من اديب مغمور يفاضل بين المعري ودانتي و يتحدث عن رسالة الاول وجحيم الثاني منتصرا للرسالة ومؤيدا ذلك بالادلة الملموسة وقد ارفق رسالته بفصل من كتاب له تحت الطبع بعنوان « الجنة الحديثة » واشهد أنه اتقن الحوار الذي دار هناك بين شوقي وحافظ وتفنن في ابراز صورة واضحة للاستاذ محمد عبده بين فيها كيف كان ترحيب الشيخ بالشاعرين وها رسالة اخرى لكاتب ليس له

حظ من شيوع الاسم كتب فيها عن القرآن وعن تقصير الازهر بين والادباء نحو القرآن تحدث فيها عن « آية » اراد لاستدلال بها على ان القرآن دين عمل ومدنية وكتاب درس الاجتماعيات ولم يقصر على الروحانيات وهذه الآية هي (وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قال فيها ان الله حض على العمل ودعااليه حتى امر « مريم » وهى أفضل « نساء العالمين » وفى حالةلا تسمح لها بالعمل ان تعمل وقال لها ان الرطب لن يتساقط حتى تعمل — وهذه رسالة اخرى من أديب شاب يعيب فيها على الادباء تأثرهم بمن يقرأون لهم من علماء الغرب ويشير فيها الى ان هذا ادبه يدعو الي القوة لانه متأثر (بنيتشه) وذلك لانه قرأ وسمع (بيتهوفن) يلعن الموسيقى المصرية والغناء العربي وفى آخر المقال يعيب على ادبائنا استشهادهم عند ما تعوزهم الحجة بكتاب الغرب على حين انه يوجد لاعلام العرب ما يتفق ويؤيد فكرته .

(تسكت السلةوتهدأ الاوراق قليلا ثم تعود الى حفيفها وضجيجها)

السلة — ألا زلتن فى ثورتكن . اظن ان هذا الدش البارد كفيل بأن يحمل للهدوء سبيله . هذه رسالة من الاستاذ الجليل (....) وما اظن الا ان المحرر قد اختبل عقله فاشر بالقلم على رسالة شاب ورمى بهذه

« نزلت الورقة هادئة ساكنة واحتلت مكانا فى السلةواحتراما

لوقارها وصمتها سكتت الاوراق عن الضجيج

(٠) (٠)

اشتد الحوار ثانيا بين الاوراق على اثر ورود رسالة جديدة كتب صاحبها في المقدمة يقول (ارى ان لا بأس علينا من ان نهل من علوم الغرب وان نتثقف بادبه وان نطرب لموسيقاه وان نحاول الاستفادة من افذاذه . ولا ضير على القومية من ذلك لان هذه الفنون لا تعرف وطنا . والرجل الفنان ليس له بلد بل هو يؤدي رسالته فيجب ان يقابل بالترحيب من قومه ومن غيرهم)

احتدم الجدال اولا بين هذه الورقة وبين الورقة التي تقول بعدم الاخذ عن الغرب وما لبث النقاش ان عم الجميع وتحاول السلة ان تهدأ تلك الثورة ولكن لاسبيل الى ذلك . واتت ورقة اخرى فساد الهدوء وذلك لان المبدأ الذي يعملن به هو الانصات لقول الورقة القادمة وجعل الكلمة لها

الورقة الجديدة — هاها .. ها .ها

ورقة اخرى — ماذا جري يا صديقتنا الجديدة الورقة الجديدة هاهاها — من منضكن قرأها المحرر . صمت . تتابع الورقة حديثها ضاحكة — هاهاها . اما انا فأقسم انه قرأني واشهد اني قد حظوت بكل شدة العالم . ونظرت الى أعبس وجه وذلك عندما كان كاتبي يملأني .. ثم تبدلت حالتي فلقيت من الضحك اكثره ومن السرور

امتعـه وذلك انني كنت آخر ورقة وردت للمحرر فأراد ان يقرأني ليوهم نفسه انه قام بواجبه وليرضي ضميره الى ان وصل الى

« .. ارى للموسيقى تنبعث من الراديو » فقال - اول القصيدة كفر لم لا يقول اسمع الموسيقى

وعاد الى القراءة « وكانت للموسيقى تشاركنا فرحنا والراديو يبارك حبنا ، فسمعنا هذا الدور الخالد « في ظل الحب »

وعندما انتهى الى « في ظل الحب » قال لشـــــد ما تؤلمني هذه التعابير الغريبة وحركني باصابعه وقرأني الى النهاية ثم صدم باسم كاتبي فاذا به غير مسموع فقذف بي اليكن واخذ يعيد ارى الموسيقى « في ظل الحب » ليثبت لنفسه انه أدى واجبه حيال الشباب ولكنهم هم المقصرون

وعادت الورقة الى ضحكها فتكاثرت الضحكات ولم يمتنع عن ذلك الا بهبوب ورقة الاستاذ الجليل (...) قائلة - اقترح عليكن ان تذهبن الى « الرئيس » لشـكوى ذلك المحرر - توافق الاوراق وتنهض حتى يصلن الى الحافة وهنا يأتي الخادم فيأخذ السلة ليلقي مابها

على طريقة ...

المازنى ؟؟

شيخ بين الفتيات ...

(اتجاه جديد فى الادب العربى، ولون حديث فى نقد وعرض آراء الادباء)

نحن فى الثامن من بؤونه (معذرة اذا كنت نسيت التاريخ الافرنجى فانا لا اذكر إلا بؤونه وقيظه)

الساعة السادسة مساء (اظن لا حاجة لمعرفة الدقائق) ارسل النسيم بشائره فداعبت اوراق مكتبي المبعثرة ورأيت من حقي وقد كتبت الفصل الذى تطلبه الصحيفة أن اغادر المكتب، وشارع المكتب

إلى أين ؟؟ هذا ما اربكنى !! يا ويل من تكون حرفته (الادب) لو كنت ابيع طعمية لوجدت آخر الاسبوع مبلغا يكفي لركوب قطار البحر وقضاء يوم فى سيدى بشر ..

إلى أين ؟؟ الي حديقة عامه . أمرى الى الله !

(•) (•)

أخذت مقعدى ورأيت ان ابدأ بالترييح عن انفى ! اغمض عينى

وأنسى جسمي ، وأشرد روحي ، ثم أفتح خياشيمي ، حتى اذا انتهى الانف من رياضته استمعت بصري ثم فمي فأذني وهذه طريقتي في رياضة اعضائي . ولكن (لا بد من و ... لكن والا أفلس الادباء) ولكنني سمعت ورأى حديثا ! فاذا بالأذن تخرج عن وقارها وتنصت والعين تحاول ان تتعدى على ما قدرته لها من الاغفال وتنظر الصوت ناعم رقيق يجرى كالغدير الرقراق في تدفقه و .. لكن فيم يدور الحديث ؟ .. نحو جالسورذي وقصص جالسورذي قلت لنفسي قاتلكن الله ، اما كان اولى لهذا الصوت الشجي ان يتحدث عن المساحيق ، وصيد الهرم وازياء باريس . ثم ماذا .. سمعتهن ينتقلن من حديث الى حديث بخفة الماء وطاب لهن ان ينقدن أديبا مصريا . قالت صاحبة الصوت الناعم : لقد آلى على نفسه الا ينشر شيئا حتى يتحقق ان هذا الشيء ينقص الادب اذا استبعد ؟ فاجابت اخرى : حسنا وهنا سمعت صوتا كمواء الهر يقول ، ياله من خادع .. وهل زجاج النافذة والطربوش ومحاولة كتابة صفحة في اللف حول الموضوع ولا يلج بابه مما يزيد في الادب .. وهنا او " وعندئذ ،، خرجت جميع الاعضاء عن وقارها ، العين نظرت ، والاذن سمعت ، واليد تحركت للطلها « اعني المرأة الثالثة » ولكني امسكت ضنا ان يقال جنسي خشن وربما كانت حركتي ايحاء للفتاة الاولى فانها قالت ! وما يدريك ياسيدتي — لعل هذا الفصل ان يكون تجديدا في الادب —

ضحكن وقالت الثالثه : « واشباح لبنان » فتراجعت قليلا وقلت اليس الاولى ان تتحاورن فى تزجيج الحواجب وغمزات السينما !
فأجابت بسرعة : كان الاولى ان لا تتشبهوا بكتاب الروس مع بعد المدى بينكم و بينهم
ذعرت وقلت : ومن انبأك بهذا التقليد
اجابت . اقاصيص كثيرة امتلأت بها الصحف والمجلات !
قلت : وعلى فرض ان هذا صحيح . اليس تشبهك بجاربو ومحاولتك فى تقليد رشاقة ديتريش اشق من تشبه كاتب بكاتب وادعى منه الى السخرية ؟!
قالت: على رسلك ليست المسألة كاتب وكاتب ولكنها ترجنيف وتشيكوف ، وجوركي ، وجوجول ، و بشيف ، ومارك توين ، و...
فقاطعتها وقلت ! لقد بدأت افكر . لا استغفر الله . لقد تكونت لدى فكرة هى ـ ان من الخير ان لا تتعلم الفتاة المصرية لأن دراستها السطحية تسيء اليها ..
قالت الاولى : رويدك فالمتعلمة تجعل منك عدة رجال ـ رجل للمناقشة الادبية وثان للسياسية وثالث للحديث عن السينما ونقد رواياتها ورابع ..
قلت : انت طيبة ـ الا تعلمين ان من الخير ان اكون رجلا واحدا
قالت : انها تعينك على معرفة نفسك !

قلت : لقد اعيا ذلك سقراط ؟

قالت : لا يضيره ذلك فهو صاحب فكرة كان يرجو أن يحققها من بعده

قلت : لنمسك عن الفلسفة تحدثي يا آنستى عن الادب .

قالت : لا تذكر الادب فما رأيت من يحب الادب للادب ولكنه محبوب هنا للشهرة والثراء

قلت : عافاك الله . الشهرة والثراء . نحن نا كل فولا دون أن يكون على المائدة كرات وبصل

قالت : انه ذنبك ـ لم لا تكون لك حرفة جانبيـــة للعيش اذا كنت تحب الادب للادب

قات : حتى التى تركتها في المنزل تقول كل صباح « الله يتوب عليك من القلم » فكلكن حواء واحوا كن المتعلمة المثقفة التي تصد عن الادب . تتوهم انه جنة ثانية فلا ترتاح حتي يغادرها آدم

« • » « • »

وساد صمت هادىء ولكن أبى للثرثارات أن يحيين السكون

قالت الثانية وكانت لم تشاركنا الحديث : اليس من حديث غير الادب ؟

قلت . هذه رغبتي .

قالت الثالثة . ويحك أن قلبك كبير

قلت . ماذا تعنين ؟؟

قالت : يقولون ان القلب يكبر مع الجسم

قلت : إلا قلب الشعراء !!

قالت : وهل سيدى شاعر ؟؟

قلت : كان شاعرا !!

قالت : والآن ؟؟

قلت : يعيش على وحى « كان »

• (•) (•)

استأذن ثلاثتهن في الانصراف للذهاب الي السينما بعد أن وجهن الى الدعوة و .. لكن آثرت عدم النهوض بدعوى ضعف فى الساق حتى لا تبدو « قامتى » القصيرة البغيضة التى تذكرني دائما بأن الله كان يريد أن يخلقنى قردا ولكنه عدل .

و بارحت الحديقة وأنا فى حيرة : أصحيح ان قلبى كبر !!

• (•) (•)

قديما كانت المرأة سر فلسفة سقراط ومحاولته معرفة نفسه فهل تكون سببا فى رجوعى الى الشعر وبحثى عن قلبى ..

١٤١

آدم وحواء !

ابتكارات جديدة فى عالم الأقصوصة

« كنت جالسا فى الصباح و بصحبتى العقاد الشاعر »
« اقرأ قصيدة (المعري وابنه) وما انتهيت منها حتى اتى »
« الصديق (صلاح) وأعلمنى بأن اختاً له فارقت الحياة »
« على أثر نظرتها الاولى لها ـ فقرأت ثانيا العقاد فخيل »
« الى أن ابن ابي العلاء يحادث اخت الصديق . . »

ابن أبى العلاء — ايقنت الآن أن ابى كان خيرا من ابيك ؟ كشف عن بصيرتى الغطاء وارانى الحياة على حقيقتها ففضلت ظهره على النزول اليها ؟ ألم أقل لك ماقاله ابى لى ؟ لكنك كامرأة لن تؤمنى بالواقع و كامرأة تودين ان تلمسي النار ولو لسعتك جذوتها كامرأة تعتقدين أنك أقدر على الاغواء ولكنك فى الحقيقة ضعيفة عن الاغراء . اذا كان هناك اغراء فهو من الرجل يستمتع بجمالك و يوهمك أنك أغريتيه حتى يفوز برغبته فينبذك ، الرجل هو القادر على الاغراء ـ لم تسمعى الي ولم تقدرى نصحي وفضلت أن تشهدى الحياة فما الذي أتى بك مسرعا ؟

اخت صلاح — رويدك يا صاحبي الا تعلم اني شاهـدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع ! لقد اختبرت الدنيا فلما لم ترق لى تركتها غير آسفه ..

ابن ابى العلاء — ما كان اغناك عن هذا لقد دفعت الثمن غاليا سيكون مأواك القبر وستصحبك الديدان والحشرات وسيأخذ جسدك طريقه الي البلى والأضمحلال . اتذكرين انى احسن منك حالا ؟ قبرى ظهر ابى ، ابى يدفع عنى الحشرات ، ابى يفنى جسده واظل انا كالجوهر المكنون فيا لشقائك

اخت صلاح — اتذكر اباك ؟ هل تجهل يا صاحبى انى قدقمت بواجبي نحو أبى ففارقت الحياة على عجل وقبل انأدنس حتي يتقبلني الله « كتكفيرة » طاهرة عن ابى فيغفر له،الا تعلم انى كنت اشجع منك فى استقبال الخطوب وانى وان كنت امرأة افضل ان يبقى جسمى جميلا فلا يتناوله الدود ولا يشوبه تشويه الا انى ضحيت به بل ضحيت بأثرة المرأة وانانيتها فى سبيل تخفيف العذاب عن ابى ؟

ابن ابى العلاء — يا لله أ أمرأة هذه ؟؟

اخت صلاح — نعم امرأة ، ولكن لم يحتل الشيطان قلبها امرأة ولكنها ذات نفس نقية بريئة لم يفسدها المجتمع ، نعم امرأة وان كنت تعجب من تضحيتى فلا عجب ! جسدى الذى ضحيت به لم اسمع من رجل انه يريده ، لم أتلقن بعد ان امرأة الدنيا ليست

بذات خطر ان لم تـكن مملوءة غرورا وانانية واعلم يا صاحبي انني كما قلت لك قد شاهـدت ما لم تشهد

ابن ابي العلاء — ليتني كـ . . « صوت داو »

ولدي انني ابوك الرحـيم   انا بالعيش يابـني علـيم

لا تصدق مقالة من بعيد

اخت صلاح — ها ، هاها . انه يغرر بك لقد شاهدت انا ما كنت تود ان تشاهده وأباه هو عليك اتذكر ما قلته له

ما الوجوه الحسان ؟ ما النوار ؟ — ما الدراري؟ ما الفلا ؟ ما البحار

ان دأب الوليد حب الجديد

لقد نظرت انا الي كل ذلك

ابن ابي العلاء — ابي . ابي اريد . ابي

حدثونا عن الحياة العجاب   فلهجنا بحسنها الخلاب

وظمئنا لحوضها المـورود .

« صوت يدوي كالرعد »

هي المرأة لا تؤمن يا بني بقولها ، هي التي لو لم تكن ضعيفة امام اغراء الشيطان لصلح كل شيء ، هي المرأة اغراها الشيطان فهي تود ان تنتقم من العالم على طريقة الشيطان

قف بباب الحياة لا تدخلها   واعتصم يابني ما اسطعت منها

سوف القاك فانتظر بالوصيد

حيـاة الظلام ؟؟

أخذ صديقى أمين الـكاتب بالمستشفى الاميرى يقص على نبأ « مومس » شعرت بمرضها فآثرت ان تأتى الى المستشفى باختيارهـا رغم ان الطبيب قد كشف عليها أمس مع كثيرات من المومسات ولكنه من أجل ذهب صاحبة الدار لم يشأ حجز أذاها عن الرجال. ثم أخرج من جيبه صورة صغيرة عرضها علي وهو يقول — هذه المرأة ذات ضمير حي ابى عليها ان تنفث سموم مرضها في طلاب جمالها .

نظرت الى الصورة فعادت الى ذكريات بعيدة العهد وتراقصت أمام عيناى مشاهد حدثت لي ... انها هى !

كان ذلك منذ عام فى ليلة انتصر فيها الشيطان وتوارت الفضيلة لتبرز الرذيلة وقوي الشر فاندفع وضعف الخير فانـكمش ، واختصارا كانت الليلة للشيطان . ولم أدر إلا وانا قد شربت حتى ثملت وقادتنى قدماى الى منزل من الدور التى تتولى بيع الهوى ثم اذا بى امام واحدة من النساء اللاتى قال فيهن هوجو « لسن من العـــذاري ولا من الامهات » . كانت جالسة تقرأ وبحركة آلية القت الكتاب وخفت لاستقبالى . نظرت اليها ثم الي الـكتاب، رشيقة أنيقة . بريكليس . لشكسبير ـ نظرت ثانيا . جميلة صغيره ، بريكليس شكسبير ، طارت الخمر

و بدأ الضمير يستيقظ وأخذ يؤدي عمله بعد ان كادت تنتصر عليه رغبات النفس فما زال يلح فى الظهور حتى عدت الى حالتى الباكية التى أحاول أن اغالط نفسى باندماجى فى أنوار الملاهى

قلت — جميلة وهاوية أدب و بنت ليل ؟؟

فأجابت — أما الجمال فعامل من عوامل النكبة وأما القراءة فقد عشقتها هنا اذ اتخذها وسيلة لنسيان ركلات السكارى ونداءات السفلة ولذتي بها تتضاءل أمام شقوتى حين أرى نفسى مصورة فيما اقرأ ؟

قلت — لعلك تحاولين ان تكونى كفتاة بريكليس؟

فقالت — ان فتاة بريكليس كانت تعيش فى خيال شكسبير الذي اراد لها ان تكون مع ملائكة يستطيعون ان يفهموها اما انا فأعيش فى الارض مع الادميين ـ طفرت من عينى دمعة لم اقدر على منعها رغم انني حملقت فى الحائط بشدة وقلت

— هل اعتدى على عفافك فأثرت ان تكونى للجميع ؟

فأجابت ـ لا ـ لم اقف هذا الموقف إلا بعد زواج لم تكن لي يد فى انفصام عروته

داعبت عينى دمعة اخرى ابت ان تسقط حتى ترى زميلة لها سالت على جبين المرأة وقلت ـ و كيف سمح الزوج ان يتنازل عن هذا الجمال وصاحبته لم تبد رغبة فى الانفصال ؟

فقالت ـ امى وامه هما سبب هذا الشقاء !

ثم اجهشت فى البكاء ودق جرس معلق في الحائط فطلبت منى الانصراف

قلت ـ ولكن لم اعرف بعد السبب؟

قالت ـ ان دق الجرس معناه انتهت ساعتك واذا لم تدعني سينزل بى من العقاب مالا تتصوره

قلت ـ عقاب ؟

فقالت ـ نعم ان « لصاحبتنا » فنونا فى تعذيب من يوقعهن سوء الطالع فى حبالها . منها ان هنا رجلا من متشردى الاجانب كل نساء الدار يمقتونه لفظاظته وقسوته مهمته ان يقضى ليلته عند من تثبت عليها تهمة « زيادة الوقت »

فنهضت مذعورا ابغى الخروج ولكنها استوقفتني وعبثت فى درج ملابسها واخرجت كراسة صغيرة ناولتنى اياها وهى تقول ـ خذ ستعرف كل شيء !

« • » « • »

.. مات والدها وهى تستقبل العام الثامن من عمرها ولم يترك لها شيئا تستعين به فى الحياة الا عملا حسنا كان قد قام به لصديقه الشيخ ابراهيم .. كان من اثره ان انتشله من الافلاس التى يمد يده اليه وابى الشيخ ابراهيم الا ان يكون شهما وان يرد الجميل فتكفل برعاية الفتاة وتولي امر معيشتها وتعليمها الى ان نجحت فى امتحان الشهادة الابتدائية فتركت المدرسة لتعيش مع امها المحاطة بسرب من النساء

الجاهلات وانتهى امرها الى ان تتأثر بكثير مما يروونه - فهذه لم تمتنع زوجها عن ضربها إلا عند ما تشنجت وأوهمته ان (عليها اسياد) يأبون عليه ذلك . وتلك لم يأتها الثوب الجديد إلا عند ما اخبرت الزوج ان (اللى عليها) يود ان يرتديه . وثالثة تتحدث عن الميت فلان ان جنازته كانت ساهية فلا لطم ولا صياح وذلك لقلة النساء لأن قريباته لا يحضرن فى جنازات الغير وغيرها لم يبادلها زوجها الحب إلا بعد كتابة ورقة عند الشيخ ..

وشاء الله ان تتحدث النساء بجمالها وان يبلغ هذا الحديث ذلك الذى أراده القدر ليكون لها زوجا فلم تكد تودع عامها السابع عشر حتى كانت زوجة لشاب كريم الاخلاق لطيف المعاشرة بلغ من عطفه عليها وحبها له ان حزنها كان خفيفاً على موت الشيخ ابراهيم... الذى كانت لا تعرف لها اباً سواه . عاشت مع زوجها في هناء خمسة اعوام ولم يكن هناك ما يعكر صفو هذه السعادة إلا انها لم ترزق أطفالا . ولكن متى تعلم القدر أن يسير على وتيرة واحدة ؟ ومتى ترك الدهر اناسا يعيشون فى هناء ؟ ان القدر وهبها هذا الزوج الوديع لتكون مصيبتها فى الابتعاد عنه عظيمة والايام أخلصت لها هذه الفترة لتكون ذكرياتها اليمة . نعم انه لم يكن يفكر فى الاطفال وانه كان سعيدا بها . وكانت سعيدة به ولكن ذلك لم يرض امه فهى تود ان تري له أولاداً

انها لا تزال تذكر هذا اليوم الذى استيقظت فيه فى الصباح فرأت بجانبها ثعبانا هائلا فتأخذ في الصراخ ويشل الخوف حركتها فلم تقو على مغادرة الفراش ثم انها تذكر كيف قالوا لها بعد ذلك ان ام زوجها قد فعلت ذلك لأنها سمعت ان هذا الفعل الذي يخلع القلب يجلب الرعب وان الرعب وسيلة لأجل ان تحمل

انها لا تزال تذكر تلك الليلة التى تآمرت فيها امه مع اخته الكبرى على ان يأخذانها فى الغد للمقابر ولا تزال تذكر امه وهى تقول لأبنتها - قد اتفقت مع الحفار على أن يفتح المقبرة . نضع على وجهها كمامة ثم تنزل فلا ترى امامها شيئا حتى اذا كانت من داخل القبر نادي الحفار فترفع هي الكمامة فترى رفات الموتى وعظامهم لقد قال لى الشيخ .. ان هذه خير وسيلة نفعلها لها

يا الهى لقد حسبت انى نائمة ولكنى سمعت كل شيء وتذكرت كل شيء . تذكرت الثعبان فكنت انظر امامى وخلفى هالعة خيل إلى ان رفات الموتى تتراقص امامي وان جماجمهم تحادثني . لا .. لن أذهب ولكن زوجى لن يستطيع مخالفة امه فى شيء . يا الهى . ثم انها تقول - اذا لم تأت هذه التجربة بفائدة سأزوج احمد بغيرها انها لن تنسي هذه الليلة ابداً تذكرت نساء منزلها القديم وأحاديثهن فأتى احمد بعد منتصف الليل من عمله فاذا بها تتشنج وتتصنع الارتعاش ثم ترتمى على الارض وتأخذ فى الأتيان بحركة جنونية ثم يأخذ فمها فى الحديث

وتجتهد فى تغيير صوتها وتدعى ان عليها شيخاً من نجد لا يحب زيارة المقابر . انها لا تزال تذكر ذلك الزوج وهو يقول « اختشى يا زينب انا لا اعترف بهذه العفاريت . يا زينب انك تخدعين نفسك » ولكنها لا تزال تذكر ايضاً ان خديجة قالت ان زوجها قال مثل هذا الكلام تماما فى المرة الاولى إذن لتتمم تمثل الدور ولكنها لم تر زوجها جاثياً بجوارها مستعداً لتنفيذ رغباتها بل انهال عليها ضربا بعصاه ولم يكف عن الضرب حتى صرحت بعدم وجود شيوخ ولا شياطين وحتى أقسمت ان لا تعود لهذا العمل

وعلى أثر تلك الحادثة لم يعد احمد ذلك الزوج الوديع المحب بل استحالت وداعته الى قسوة وحبه الي كراهية وأبى ان يغفر لها هذه الزلة ورغم إنه عاش معها بعد ذلك ثلاثة اشهر ولم يذكرها بافعلت إلا انها شعرت بأن ثقته فيها قد تضاءلت وأصبح ينظر اليها كخادعة كاذبة . كثيراً ما كان يقول ان النساء ناقصات عقل ودين ولكنه أبى ان يطبق عليها تلك النظرية كأنها من غير طينة النساء . ذكرته بأمه وتعبان امه وان خدعتها قد تكون أخف وطأة وتأثيراً من الاعمال التى قامت بها امه ولكن عبثاً ان تطلب منه أن يعود الى حالته الاولي فهو دائما ينظر اليها نظرات الاحتقار والازدراء

انها لا تزال تذكر ذلك اليوم الذى طلبت فيه ان تزور امها فكانت كلمة الزوج « انفضلى وابقي معها » ثم يخرج الزوج ويدعها

لأمه التي تلمح لها بانها « عديمة الخلفة » وانها « كالبغلة » وليس اشق على نفس المرأة التي كتب لها ان لاتسعد باولاد من تذكيرها بهم فكيف تصبر وهي تسمع كلاما لاتطيقه النفوس ولا يتحمله الشعور ثارت على امه وأخذا يتشاحنان بقارص القـــول وانتهى بها الأمر للتشنج الطبيعي لا التشنج المصطنع وارتمت على الارض، حضر الزوج فظن انها تعيد تمثيل الدور فانهال عليها ضربا وركلا الي ان اغمى عليها

لا تذكر بعد ذلك الا انها في بيتها الاول وان امها تبكي - مايبكيك ياأمي؟ فأجابتها — « لقد ارسل لك ورقتـــك » وماتت الام متأثرة بالمصيبة التي نزلت بوحيدتها ، وعاشت زينب بعد ذلك من ثمن الفراش والاواني الى ان اتت على كل شيء

انها تذكر أول بيت اشتغلت به كخادمة وكيف طردت فى مساء اليوم الاول لأن الزوجـــة خشيت من جمالها ان يسلب منها زوجهـــا

وتذكر البيت الثاني وكيف فرت منه ولم تكمل الاسبوع لأن صاحبه أبى الا أن تكون خليلته !

وتذكر البيت الثالث الذي طردها صاحبه لانه رأى ولده يطيل النظر بوجهها - ثم هي تذكر بعد ذلك الاوقات التي مرت وهي في مكتب التخديم تنتظر العمل، تذكر أسبوعا كاملا لم تتبلغ فيه بشيء ولم يرض احد ان يقدم لها طعاما أو شرابا الا اذ وجد فى نظراتها علامات

التسليم وآيات الخضوع وهي لم ترضخ بعد للتسليم

ثم هي تذكر بعد ذلك كيف ان ابتسامة تافهة جلبت لها ريالا كاملا وربتة خفيفة على كتف شاب كانت كافية لدعوتها للعشاء في مطعم فاخر، انها تقرر ان المجتمع كان مع عفتها قاسيا كله عنف وكله شدة ومع تبذلها رحيما كله رحمة وكله بذخ ورفاهية اذن لماذا تحافظ على العفة ما دام الناس يأبون عليها ذلك ويدفعونها للفجور دفعا ،لماذا تتمسك بأهداب الفضيلة والناس لايتخيرون الا الرذيلة ألم تكن بشرية مثلهم ؟ اذن لتندفع فى هذا السبيل اندفاعا لا يقف عند حد، وضميرها؟ بحثت عنه فلم تجده أو وجدته لايؤنبها وانما يؤنب ذلك المجتمع الذى ابى ان يشجعها فتظل شريفة وشرفها ؟ وهل من الناس من يعرف قيمة ذلك الشرف لو عرفوا قيمته لمدوا لها ايدي المساعدة أليس شرفها شرفهم ؟

وجسدها لتبيعه لهؤلاء الذئاب مقابل ما يقدمون لها من طعام ولباس ، لتقدمه لهؤلاء الذين لا يعرفون من الشهامة الا اسمها ولا من الشرف الا كلمة تخرج من الفم لا يعززها العمل أليست كل أعمالهم منها تنطق بذلك ؟؟

« لا تلوموني ولوموا انفسكم »

« بهذه الجملة ختمت أمرأة الليل ونزيلة المستشفى اعترافاتها »

ملاحظات

استدراك : لفت نظرى صديق فاضل الى أن الدراسة الخاصة بكتاب « ابن الرومى » فى كتابتي عن العقاد ى صفحة ٦٦ تتفق فى بعض الالفاظ والمعنى مع ما نشر بمجلة الهلال الغراء عن هذا الكتاب وقد حاولت أن اكتب من جديد في هذا الموضوع ولكنى رأيت ان هذا الامر يكلفنى اعادة صفحات كثيرة وتأخير الكتاب عن موعد صدوره — لهذا — اكتفى بهذه الاشارة — وعسى ان يكون فى ميدان « توارد الخواطر » مكانا فألتمس عن طريقه الاعذار !!؟

• • • •

تصويبات : فى كل كتاب ، يعتذر صاحبه ، عن الاخطاء المطبعية فبعضهم « يتهم المطبعة » و بعضهم يقول « ندت عن النظر » الخ اما انا فأتهم نفسى وفي الكتاب مايدل على صحة الاتهام وفى كلمة الختام ما ينهض برهانا ساطعا على انشغال البال وعلى قسوة الحياة المضطربة التى احياها ولا اشك فى ان القارىء الكريم سيدرك بنباهته وذوقه ما باعدت الظروف بينى و بين تصحيحه

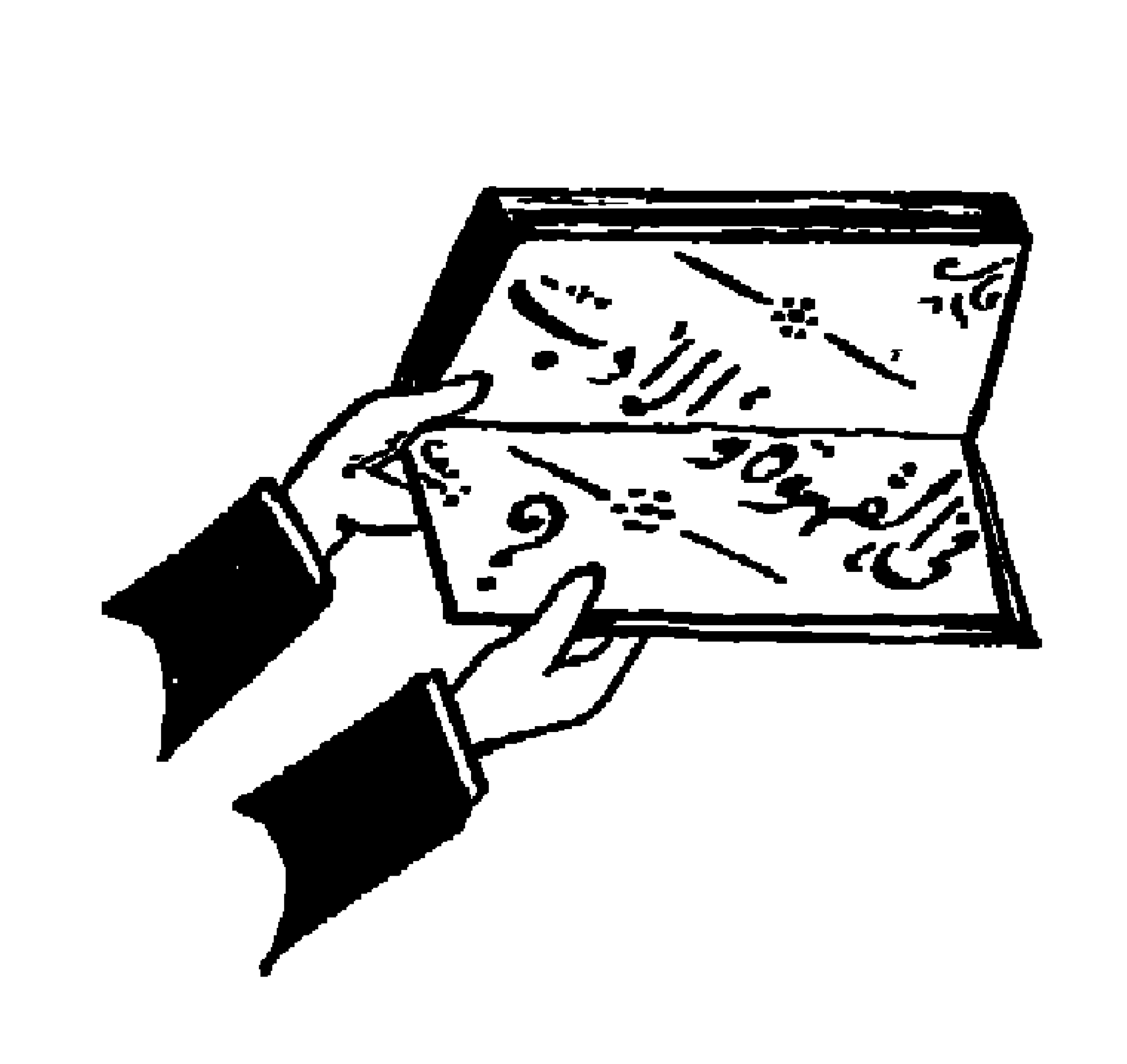
الى القارىء

في دراسة الادباء ـ تشاهد كثرة المقدمات، والاختزال مما يدل على أني كنت أحب التوسع في هذا الباب ؛ وكذلك في الاقاصيص والصور تجد أن كل واحدة تختلف عن أختها في الاتجاه واللون مما كان يستلزم أن يكون لكل قسم كتاب حتى يتم الاستيفاء ويكمل الاستقصاء ؛ ولكني آثرت أن يكون كتابي الأول جامعاً لمختلف الفنون التي مارستها لهذا اضطررت الى اقتطاف هذه الفصول مما كتبته

وراودت نفسي في عرض ملازم الكتاب على أستاذ حتى يصحح أغلاطه النحوية ولكنها آثرت أن يكون الكتاب بأغلاطه اللغوية والمعنوية صورة صادقة للدراسة الحرة وأثرها ؟

المؤلف





الي ولدى العزيز صلاح ...

ان مصر كانت ولم تزل مهد الحضارة ، ومنبت العلوم ، وبلد الفنون والآداب ، وأن شعلة المعرفة ستظل دائمة الاشراق فوق الاهرام تبدد بنورها الساطع ؛ سواد ليـــل الجهل الحالك ، ومصر التي اختارهـا الشرق لزعامة الأدب ستبقى دائما للشرق قلبه النابض، ولسانه الناطق وفية مخلصة لرسالة الأدب

ـ شاء الله ـ أن تنشر الصحف ، وتعمل المطبعة ، و يصدر هذا الكتاب معلنا للناس حب المصريين للثقافة وانتشارها بينهم ومبرزا صورة واضحة المعانى ، وفكرة كاملة الأجزاء عن انتشار الثقافة وجهاد زعماء الأدب فى هذا السبيل وهل هناك صورة أوضح وفكرة أكمل ـ فى هذا المعنى ـ من كتاب يؤلفه (قهوجى) لم ينتظم فى دراسة ولم يذهب الى مدرسة ، ولم يجلس الى أستاذ ؟؟

إن فى كتابى الكثير من المآخذ وإنى أعترف بتقصيرى وعلي اللوم ، فاذا كان بجانبها مايستحق الحياة ومايكون جديراً باسم الأدب

فلمصر ولرجل الأدب فيها — الحمد والثناء

لقد تآلفت على وأنا أكتب فصول هذا الكتاب ، ألوان من المتاعب ـ منها العمل ومشاغله ، والعائلة ومطالبها ، والبيئة التى تناهض الاطلاع والدراسة ـ كتبت بعض هذه الفصول وأنا أدير (الحاكى) اجابة لرغبة رواد « القهوة » وصححت ملازمه وأنا أصنع الشيشه أو أقدمها ، فاذا ضممت الي هذا ـ قسوة العمل و كثرة ساعاته ، و ربحى القليل وتوزيعه بين غذائى الروحى ونفقات العائلة ـ وأرفقت به ، انى لم أنتظم فى دراسة ، وانما كانت دراستى مضطربة كحياتى ـ ويكفى أن أقول أن اطلاعى يكون عادة بعد منتصف الليل بعد كفاح فى سبيل العيش عنيف ـ أقول : اذا أجلت النظر في كل هذا وراجعت الكتاب ، ربما التمست لي عند نفسك بعض العذر ، وظفرت باشفاقك ؛ ولا أقول اعجابك ... كما أحب أن تجعل بجانب هذه المآسي أنى كنت راعيا ؛ في سن تجعل من حقى أن أكون لاهيا ، وأنا قبل العشرين ...

. . .

فياولدى — هاهو كتابى أقدمه تحية خالصة لطفولتك البريئة وأملى أن يكون كتابى الثانى له من التعمق والأثر أكثر من هذا النصيب ، فاذا حالت ظروف الحياة القاسية بينى و بين اتمام ما أريد فأرجو أن تعيش وتكتب وانى بما تقدمه لمغتبط وسعيد .

١ / ٣ / ١٩٣٦ دمنهور عبد المعطى المسيرى

عنوان المؤلف





مطبعة الشعب بدمنهور


Bibliotheca Alexandrina
03999209